المسلمون وارهاصات الافاقة للخطر الصليبى

(٤٩٣ ـ ٤٩٨هـ = ١١٠٠ ـ ١١٠٥م)

الدكتور عبد الغنى رمضان

الاستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية التربية جامعة الرياض

ملـــــــخص :

البحث قسمان ، أولهما : عرض موجز للاوضاع الاسلامية في الشرق أول مجيء الصليبيين ٤٩٠هـ ـ ١٠٩٧م ، وهـــى أوضاع تدل على أن جميع حكام المسلمين ـ دون استثناء ـ كانوا آنذاك في غفلة تامة عن ادراك طبيعة الخطر الصليبى ، ودوافعه ، وأهدافه والقوى الاوروبية التـــى تقـــف وراء الصليبيين خدمة لمصالحها ، لأنهم كانوا غارقين في انقساماتهم وخلافاتهم • وفي أقل من سنتين ، تمكن الصليبيون من تثبيت أقدامهم في أكثر من موقع في الشرق الاسلامى : اخرها ، انطاكية وبيت المقدس •

أما القسم الثانى فهو عرض وتحليل لأحداث معينـة ، وقعت بعد ذلك مباشرة بين المسلمين والصليبيين ، رأى فيهـا الباحث ، مقدمة لافاقة المسلمين ،وايذانا بتلك الافاقة ، أى : ارهاصات افاقة ، وارهاصات الافاقة التى ذكرها الباحـث ، امتدت من أقصى الشمال ، حيث آسيا الصغرى ، وديار بكر وبلاد الجزيرة ـ وجميعها خاضعة للسلاجقة ـ الى اقصـــى الجنوب ، حيث مصر الفاطمية • وهذا يدل على أن ارهاصات الافاقة ، اتسمت بالشمول ، بغض النظر عن الحدود الاقليمية والمذهبية • واعتمد الباحث على ما يقرب من ستين من أمهات المصادر العربية والاجنبية •

الهدف من هذا البحث هو محاولة العثور على ما يمكن أن نعتبره مقدمة لافاقة المسلمين نحو الخطر الصليبى ، وايذانا بتلك الافاقة ، وهذا هو المعنى المجازى لكلمة : ارهاص (١) • وقد يبدو غريبا أن يحاول الباحث العثور على ارهاصات للافاقة الاسلامية والخطر الصليبى في سنواته الاولى ، وريحه شديدة ، وعوامل قوته تزداد يوما بعد يوم• ولا يحسبن القارىء أن الباحث يكتب عن الحركة الصليبية ، أو حتى عن شخصية من شخصياتها ، أو موقعة من مواقعها أو قطاع منها مهما قصرت مدته أو ضاقت مساحته ، وانما هى مشاهد ، أو أحداث ، أو مواقف ، وجد فيها الباحث ، ما يمكن حمله على انه مقدمة لافاقة المسلمين نحو الخطر الصليبى ، وايذانا بتلك الافاقة •

والبحث قسمان : ـ

أولا : المسلمون في المشرق أول مجيء الصليبيين •

ثانيا : ارهاصات الافاقة الاسلامية : ـ

١ ـ أسر بوهيمند الصليبى أمير أنطاكية (٤٩٣ ـ ١١٠٠م) •

٢ ـ القضاء على حملات ٤٩٤ ـ ١١٠١م الصليبية •

٣ ـ المحاولات الفاطمية لتخليص بيت المقس : ـ

أ ـ المحاولة الاولى (موقعة عسقلان اغسطس ١٠٩٩م) •

ب ـ المحاولة الثانية (موقعة الرملة الاولى سبتمبر ١١٠١م) •

ج ـ المحاولة الثالثة (موقعة الرملة الثانية مايو ١١٠٢م) •

د ـ المحاولة الرابعة (صيف ٤٩٦ ـ ١١٠٣م) •

هـ ـ المحاولة الخامسة (موقعة الرملة الثالثة اغسطس ١١٠٥م) •

٤ ـ تحالف سقمان بن أرتق وجكرش على الجهاد ٤٩٧ ـ ١١٠٤ (موقعة حران ١١٠٤م) ويلاحظ انه يوجد ، في نهاية البحث ، تعليقات وحواش للاطلاع عليها ، فضلا عن خريطة للاماكن التى ذكرت في البحث •

أولا : المسلمون في المشرق أول مجيء الصليبيين ٠

شهد العقد الاخير من القرن الخامس الهجرى (١٠٩٧ أ ـ ١١٠٦م) وصـــول الحملة الصليبية المعروفة بالاولى الى الشرق الادنى الاسلامى ٤٩٠ ـ ١٠٩٧ م وتمكنت هذه الحملة في أقل من ثلاث سنوات ، أن تقيم ثلاث وحدات سياسية على أرض اسلامية هى : امارة الرها الصليبية ، وقاعدتها مدينة الرها في قلب ديار مضر ، من أرض الجزيرة شرقى الفرات (٢) ، وامارة أنطاكية ، وقاعدتها مدينة أنطاكية ، على ساحل البحـــر المتوسط غربى حلب (٣) ، ومملكة بيت المقدس الصليبية على أرض فلسطينية (٤) ٠ والسبب في النجاح الذى أحرزته هذه الحملة أن الفرقة والانقسام كانتا الطابع الغالب على العلاقات بين القوى الاسلامية ـ على مختلف مستوياتها ـ في الشرق الادنى الاسلامى، وبيان ذلك أن القوتين الاسلاميتين العظميين انذاك وهما : السلطنة السلجوقية العظمى ـ وقاعدتها أصفهان (٥) ـ والخلافة الفاطمية في مصر ـ كانت العلاقة بينهما قد وصلت الى نقطة اللاعودة (٦) فأولاهما سنية المذهب ، وثانيتهما شيعية ٠ ويأتى بعد هاتيـن القوتين العظميين : الفرع السلجوقى بالروم ، والفرع السلجوقى بالشام ٠ وأولهمـــا يتزعمه قلج أرسلان بن سليمان بن قطلش بن اسرائيل بن سلجوق (٤٧٩ ـ ٥٠٠ هـ = ١٠٨٥ ـ ١١٠٧م) وبينه وبين السلطنة السلجوقية العظمى بأصفهان فرقة وانقسام (٧) فهى تعتبره فرعا تابعا يجب أن يأتمر بأمرها ، وهو في نفس الوقت يعتبر الامير محمد كمشتكين بن دانشمند الذى يسيطر على امارة في اقليم قبدوقيه في الاناضول ، تابعا له يجب أن يأتمر بأمره (٨) ، وأطماع كل منهما متعارضة ٠ والفرع السلجوقى الثانـــى بالشام ، يمثله اثنان من أبناء تتش بن ألب أرسلان السلجوقى : أكبرهما رضوان ملك حلب (٤٨٨ ـ ٥٠٧هـ = ١٠٩٥ ـ ١١١٣م) والاصغر دقاق أمير دمشق (٤٨٨ ـ ٤٩٧هـ = ١٠٩٥ ـ ١١٠٤م) وبين الاثنين من الفرقة والانقسام ما هو معهود في ذلك الوقت ، من رغبة الاخ الكبير في أن يكون أخوه الاصغر تابعا يأتمر بأمره ، هذا ان لم يتطلع ذلك الاخ الكبير الى ضم أملاك أخيه الاصغر ٠ وبين هذا الفرع السلجوقى بالشام وبين السلطنة السلجوقية العظمى بأصفهان ، من الفرقة والانقسام ، كالذى بينها وبين نظيره بالروم ٠ هذا بالاضافة الى عدد من أمراء التركمان وكبار قادة السلاجقـــة ، اقطع كل منهم اقطاعا ، ويجتهد كل منهم في توسيع اقطاعه على حساب نظرائه ، بل وعلى حساب أبناء البيت السلجوقى نفسه ، أن استطاع ٠ على أن موقف المسلمين ـ أول مجيء الصليبيين ـ لن يتضح الوضوح الكافى الا اذا عرفنا ـ ولو بصورة موجزة ـ ما كانت عليه الاوضاع في السلطنة السلجوقية العظمى ذاتها ، ثم مدى ادراك الفاطميين للخطـر الصليبى أول ظهوره ٠

وفيما يتعلق بأوضاع السلطنة السلجوقية العظمى ـ أول مجيء الصليبيين ـ فانه ما ان توفى السلطان ملك شاه (٤٨٥هـ ـ ١٠٩٢م) حتى دب الصراع بين أبنائه على منصب السلطنة ، وكانوا أربعة : بركياروق ، محمد ، سنجر ، ومحمود وكان بركياروق أكبرهم ومحمود أصغرهم ـ فهو طفل ، وكان محمد وسنجر أشقاء ٠ ورأى رجال البلاط السلطانى والحاشية تنصيب الطفل محمود سلطانا ، ووافق الخليفة العباسى المقتدى (٤٦٧ ـ ٤٨٧هـ = ١٠٧٥ ـ ١٠٩٤م) على ذلك ٠ وواضح أن تنصيب الطفل محمود بن ملك شاه سلطانا ٤٨٥ ـ ٤٨٧هـ = ١٠٩٢ ـ ١٠٩٤م) لم تراع فيه مصلحة السلطنة

السلجوقية ولا مصلحة المسلمين عامة ، وانما روعيت فيه المصلحة الشخصية للذين نصبوه سلطانا · وتطلع الثلاثة الباقون من أبناء ملك شاه الى السلطنة وأولهم بركياروق الذى خاض صراعا عنيفا مع أخيه محمود ونافسه في منصب السلطنة ، وبوفاة محمود استقر بركياروق في السلطنة (٤٨٥ ـ ٤٩٨هـ = ١٠٩٢ ـ ١١٠٥م) · (٩) ·

ونافس الشقيقان : محمد وسنجر أخاهما السلطان بركياروق وكانت أذربيجان والموصل وبلاد الجزيرة اقطاع محمد ، بينما كانت خراسان وبلاد ما وراء النهر اقطاع سنجر ، وللسلطان بركياروق العراقيان العربى والعجمى ، فضلا عن السيادة الاسمية على أخويه وعلى الفرعين السلجوقيين بالروم وبلاد الشام · وبارك الخليفة المستظهر العباسى (٤٨٧ ـ ٥١٢ = ١٠٩٤ ـ ١١١٨م) التطاحن بين السلطان بركياروق وبين أخويه المنافسين له، أملا فيأن يسترد لنفسه شيئا من النفوذ والسلطان · وغرق بركياروق واخواه في ذلك التطاحن الذى باركه أيضا كبار قادة السلاجقة ومقدميهم لأن كلا منهم يريد أن يزيد من نفوذه ، ويقتطع لنفسه جزءا من السلطنة ـ ان لم يكن له اقطاع ـ أو يزيد من اقطاعه ان كان عنده اقطاع · وتوالى التقاء الاخوة المتنافسين على السلطنة العظمى في ميدان القتال طيلة سنوات سلطنة بركياروق ، وعقدت بينهم معاهدات للصلح كانوا يسارعون الى نقضها قبل أن يجف مدادها ، وادعى كل من بركياروق وأخوه محمد انه أحق بأن تكون الخطبة في بغداد باسمه ، مما شجع الخليفة العباسى على أن يخطب لنفسه فقط ـ أحيانا ـ متجاهلا آل سلجوق (١٠) ·

ومما زاد في تدهور الاوضاع بين أبناء ملك شاه المتنافسين على السلطنة العظمى، أن طائفة الحشاشين ، انتهزوا فرصة تطاحن آل سلجوق على منصب السلطنة العظمى وحاولوا تقويض هذه السلطنة السنية من الداخل · ونشط دعاة هذه الطائفة في نشر دعوتهم ، والاستيلاء على بعض الاماكن والقلاع الحصينة في أنحاء السلطنة السلجوقية ، كما نشطوا في بث الرعب بين المسلمين من أهل السنة واغتيال الشخصيات البارزة من السلاجقة وكبار قادتهم ومقدميهم ، وخاصة من عرف عنهم الاستعداد للتضحية نصرة للدين ودفاعا عن أهل السنة · وبلغ من انغماس المتنافسين على السلطنة من آل سلجوق آنذاك في العداوة أن استعان بعضهم بهؤلاء المخربين في تحقيق أطماعه الشخصية(١١)·

تلك كانت حالة السلطنة السلجوقية العظمى أيام بركياروق ·· وصور ابن الاثير هذه الحالة بقوله (وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة ، والدماء مسفوكة ، والبلاد مخربة ، والقرى محرقة ، والسلطنة مطموعا فيها محكوما عليها ، وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين · وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم) (١٢) ·

هذه هى الاوضاع المتردية التى وصلت اليها السلطنة السلجوقية العظمى على عهد بركياروق ، وهو العهد الذى وصلت فيه الى المشرق الاسلامى الحملة الصليبية المعروفة بالاولى (٤٩٠هـ ـ ١٠٩٧م) · وكان من المفروض أن السلطان بركياروق هو أول من يتحتم عليه ـ بحكم منصبه ـ أن يتصدى لهذه الحملة · واذا كانت هذه الاوضاع المتردية قد حالت بين بركياروق وبين التصدى الجدى للحملة الصليبية المعروفة بالاولى

فان طابع الفرقة والانقسام الذى ساد بينه ـ باعتباره سلطانا أعظم ـ وبين الفرع السلجوقى بالروم ، والفرع السلجوقى بالشام ، فضلا عن كبار قادة السلاجقة ومقدميهم، قد حمل هؤلاء واولئك على توجس الريبة والشك تجاه أى محاولة قد يقوم بها بركياروق لدفع الخطر الصليبى (١٣) ٠

ويتطلب الحديث عن موقف الفاطميين من الخطر الصليبى ، عند قدوم الحملة الصليبية المعروفة بالاولى (٤٩٠هـ ١٠٩٧م) القاء نظرة على علاقة الفاطميين بالدولة البيزنطية ، ذلك أنهم نظروا الى الصليبيين أول قدومهم ـ من خلال تلك العلاقة ٠ والفاطميون استولوا على مصر صيف (٣٥٨هـ ـ ٩٦٩م) وهى نفس السنة التى انتهى فيها حكم الامبراطور نقفور فوكاس (٩٦٣ ـ ٩٦٩م) وكان هذا الامبراطور قد قام في السنة الاخيرة من حكمه بحملة على شمال سوريا ، أثارت الرعب والخوف بين المسلمين فيها ٠ وتمخضت هذه الحملة عن استيلائه على ميناء اللاذقية ، فغدت نقطة ارتكاز بيزنطية في سوريا الشمالية ٠ وفي أقل من عام تمكن البيزنطيون من الاستيلاء على ميناء انطاكية في خريف (٣٥٨هـ ـ ٩٦٩م) وغدت انطاكية والمناطق المجاورة لها على الساحل وفي الداخل دوقية بيزنطية٠ وعقدت بيزنطة معاهدة بينها وبين المسلمين في حلب تناولت الحدود بين دوقية انطاكية البيزنطية وبين امارة حلب الاسلامية (١٤) ٠

وتمكن الفاطميون في خلافة المعزلدين الله (٣٤١ ـ ٣٦٥هـ = ٩٥٢ ـ ٩٧٥م) من توطيد نفوذهم في دمشق والنصف الجنوبى من سوريا وحاولوا بسط سيادتهم على امارة حلب الاسلامية ، ولكنهم ـ في الوقت نفسه ـ لم يريدوا الدخول في صراع حياة أو موت مع الروم ، فاعترفوا بالسيادة البيزنطية على دوقية أنطاكية وميناء اللاذقية ٠ وكانت أبرز معالم السياسة الفاطمية تجاه الروم ما أشار به الوزير يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٥م) قائلا (أنصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك : سالم الروم ما سالموك) (١٥) ٠ واستمرت العلاقة بين الفاطميين والروم وديعة على عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٥ ـ ٤١١هـ = ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) وجاءت أعماله ضد المسيحيين في بيت المقدس وضد غيرهم من الاقباط في الدولة الفاطمية سحابة صيف سرعان ما انقشعت (١٦) ٠ وازدادت علاقة الود والصداقة بين الفاطميين والروم على عهد الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧هـ = ١٠٢٠ ـ ١٠٣٦م) ثم بلغت تلك العلاقة ذروتها على عهد المستنصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ = ١٠٣٦ ـ ١٠٩٦م) فقد تجددت معاهدات الود والصداقة والاحترام المتبادل من الجانبين لمناطق نفوذ كل منهما في سوريا، وبعض السر في ذلك أن كلا من الفاطميين والروم على عهد المستنصر وجد في السلاجقة عدوا مشتركا (١٧) ٠ وفي خلافة المستظهر قامت السلطنة السلجوقية واحتضنت أهل السنة ، وأعلنت عزمها على ازالة الدولة الفاطمية وتوحيد العالم الاسلامى ٠ وتمكن السلاجقة من القضاء على ما للفاطميين والروم من نفوذ وسيادة في شمال سوريا كما تمكنوا من اقتطاع معظم ما للروم من أراض في آسيا الصغرى والاناضول ، فضلا عن استيلائهم على الاملاك الفاطمية في سوريا الجنوبية ، بما في ذلك مدينة دمشق ومدينة بيت المقدس ، ولم يبق للفاطميين الا الموانىء على ساحل سوريا الجنوبية (١٨) ٠وهكذا غدا السلاجقة ـ أهل السنة ـ عدوا مشتركا لكل من الفاطميين والروم ٠ واستمر ذلك في خلافة المستعلى الفاطمى (٤٨٧ ـ ٤٩٠هـ = ١٠٩٤ ـ ١٠٩٦م) عشية قيام الحركة الصليبية ٠

ثم تولى الخليفة الآمر الفاطمى (٤٩٠ ـ ٥٢٤هـ = ١٠٩٦ ـ ١١٣٠ م) وعلاقة الفاطميين بالروم على ما هى عليه من صداقة وطيدة واعتبار السلاجقة عدوا مشتركا · وكان المتصرف في أمور الفاطميين آنذاك الوزير الافضل بن بدر الجمالى (٤٨٧ـ٥١٥هـ = ١٠٩٤ ـ ١١٢١م) وفي أول سنة من خلافة الآمر وصلت الحملة الصليبية المعروفة بالاولى الى آسيا الصغرى واستولت في يونيو ١٠٩٧م على مدينة نيقية عاصمة السلاجقة بالروم · ونصح الامبراطور البيزنطى اليكسيوس كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨م) الصليبيين أن يتصلوا بالفاطميين في مصر ، ويحتمل أنه أراد بذلك أن يطمئن الفاطميين بأن الصليبيين انما يعملون لحسابه ، وتحت سمعه وبصره · ويحتمل أن الصليبيين استجابوا لنصح الامبراطور في وقت مبكر ، وذلك قبل أن يستأنفوا زحفهم من نيقية فبعثوا برسلهم الى الفاطميين (١٩) · ثم استأنف الصليبيون زحفهم من نيقية ، وانتصروا على السلاجقة بالروم في موقعه دور اليوم (يوليو ١٠٩٧م) والحقوا بهم خسائر فادحة · وفي أواخر أكتوبر القى الصليبيون حصارهم على مدينة انطاكية التابعة للسلاجقة آنذاك ·

والثابت أن سفارة فاطمية وصلت الى الصليبيين أوائل ١٠٩٨م وهم يحاصرون انطاكية ، ذلك أن الفاطميين اعتبروا الصليبيين مرتزقة يعملون على تحقيق المصالح البيزنطية التى ترمى الى استرجاع دوقية انطاكية وغيرها من نقط الارتكاز البيزنطية في سوريا الشمالية ، وليس في هذا ما يضير الفاطميين · وحمل سفراء الفاطميين معهم الهدايا واظهروا ارتياحهم للانتصارات التى احرزها الصليبيون على السلاجقة في ذلك الوقت (٢٠) · وبناء على هذا الفهم الخاطىء لطبيعة الخطر الصليبى من قبل الفاطميين، فان الوزير الافضل أراد من سفارته هذه أن يوضح للصليبيين كون السلاجقة عدوا مشتركا ، وعرض عليهم التحالف لاقتسام أملاك السلاجقة بالشام ، فتكون انطاكية من نصيب الصليبيين ، وتكون بيت المقدس من نصيب الفاطميين · ويبدو أن الوزير الافضل حدد هذه السياسة مسترشدا بالعلاقات التاريخية التى سبقت الاشارة اليها بين الفاطميين والروم ، فقد كانت أنطاكية آخر ما يتطلع اليه الروم في شمال سوريا · والظاهر أن الصليبيين لم يشاءوا أن يعلنوا عن حقيقة أطماعهم في وقت مبكر ، فهم لا يزالون يحاصرون أنطاكية واحتمال ارسال السلاجقة عسكرا لانقاذها ، فضلا عن التصدى لهم، احتمال وارد ·

على أن الصليبيين وافقوا ـ ولو مرحليا ـ على أن استرجاع الفاطميين لبيت المقدس سوف يشغل السلاجقة عن التفرغ الكامل لانقاذ انطاكية والتصدى لهم · كما أن انشغال السلاجقة بمحاولة التصدى للصليبيين وانقاذ انطاكية ، سوف يؤدى بدوره الى الحيلولة بينهم وبين تركيز جهودهم للاحتفاظ ببيت المقدس (٢١) · وكيفما كان الامر، فان رسل الافضل ، قضوا في المعسكر الصليبى المحاصر لانطاكية ما يقرب من شهر ، حرص الصليبيون أثناءه على اخفاء جميع المتاعب التى يتعرضون لها أثناء حصارهم لانطاكية ، كما حرصوا على اظهار كل ما من شانه أن يبرز قوتهم وبسالتهم · وفي مارس ١٠٩٨م عاد رسل الافضل تصحبهم سفارة صليبية الى البلاط الفاطمى · وكانت السفارة الصليبية محملة بالهدايا ومعظمها من أسلاب السلاجقة ، وفيها رؤوس من قتلاهم · وارسال الصليبيين لسفارتهم هذه يدل على أنهم أرادوا أن يتركوا باب

المفاوضات مع الفاطميين مفتوحا وألا يلتزموا بشروط محددة ـ في هذا الوقت المبكر ـ وخاصة فيما يتعلق بمصير بيت المقدس وأن تترك هذه المسألة لما سوف يتمخض عنه مجرى الاحداث · ثم ان سفارة الصليبيين هذه الى البلاط الفاطمي سوف تمكنهم من الوقوف على حقيقة الامر فيه ، وعلى مختلف الاتجاهات السياسية للفاطميين ، ومظاهر قوتهم أو ضعفهم · ورحب البلاط الفاطمي بالسفارة الصليبية وتعمد ابقاءها في القاهرة أطول مدة ممكنة حتى تتكشف الامور ·

ورأى الصليبيون في سفارة الفاطميين اليهم عمق الانقسام بين السلاجقة وبين الفاطميين · ثم استولى الصليبيون على انطاكية (٢٨ يونيو ١٠٩٨) بعد انتصارهم على عسكر بعث به السلطان بركياروق ، بقيادة واحد من كبار قادة السلاجقة اسمه (كربوغا) ، في موقعة انطاكية · وتجلى للصليبيين بكل وضوح يوم انتصارهم في موقعة انطاكية مدى انقسام ملوك وامراء السلاجقة والمسلمين على أنفسهم وسوء نياتهم (٢٢)· وما أن استولى الصليبيون على انطاكية حتى تفشى بينهم وباء فتاك أعاقهم عن استئناف الزحف جنوبا الى بيت المقدس عدة أشهر (٢٣) ·

وفي يوليو ١٠٩٨م استرد الفاطميون مدينة بيت المقدس والمناطق المجاورة لها من حكام السلاجقة (٢٤) · وفي أواخر ذلك العام خفت حدة الوباء بين الصليبيين فاستأنفوا زحفهم (أوائل ١٠٩٩م) جنوبا ، وفي أثناء زحفهم هذا وضح لهم أيضا مدى الفرقة والانقسام بين صغار الحكام المسلمين وأمرائهم في الشام وجنوح هؤلاء الحكام والامراء الى مداراتهم وتسهيل مرورهم في المناطق التى تحت ايديهم · وفي أوائل ابريل وصل الصليبيون في زحفهم الى بلدة (عرقة) : شرقي مدينة طرابلس على مسافة أربعة فراسخ ، واستولوا عليها (٢٥) · ووصل الى المعسكر الصليبي في عرقة رسول من مصر الفاطمية صحبة السفارة الصليبية ، التى تعمد الفاطميون ابقاءها ما يقرب من عام · وكان رسول الفاطميين يحمل رسالة تنبىء بأنهم على استعداد بأن يسمحوا للصليبيين بأداء فريضة الحج وزيارة كنيسة القيامة شريطة أن يكونوا جماعات غير مسلحة لا تتعدى الجماعة منها بضع مئتين · وادرك الصليبيون أن الفاطميين تغيرت لهجتهم ، بعد أن وضعوهم أمام الامر الواقع ، يوم أن استردوا بيت المقدس ·

وقام الصليبيون بزحف خاطف من (عرقة) جنوبا فوصلوا الى مدينة الرملة واستولوا عليها (٣ يونيو ١٠٩٩م) · والدليل على أن الصليبيين أدركوا الكثير عن الاوضاع الاسلامية أثناء السنتين اللتين جاسوا خلالها ديار المسلمين ، أنهم عقدوا في مدينة الرملة ، مجلسا حربيا ناقشوا فيه رأيين : أحدهما يقول بوجوب مهاجمة الدولة الفاطمية في عقر دارها ، وذلك بالزحف على القاهرة ، وثانيهما يقول باستمرار الزحف نحو بيت المقدس · وتفكير الصليبيين المبكر في مهاجمة الفاطميين في عقر دارهم جاء وليد اعتقادهم بأن مصر هي مفتاح الموقف في الشرق الادنى ، اذ أن الاستيلاء عليها سوف يستتبعه حتما استيلاء الصليبيين على فلسطين ، واستقرار نفوذهم فيها · وتغلب الرأى الثانى فاتجه الصليبيون فعلا نحو بيت المقدس ، وألقوا حصارهم عليها ، والح الصليبيون في حصار المدينة المقدسة ، وقاومت الحامية الفاطمية والمسلمون فيها مقاومة مستميتة في حدود الامكانيات المتاحة · وفي منتصف يوليو ١٠٩٩م سقطت مدينة بيت المقدس في أيدى الصليبيين بعد أربعين يوما من القتال المرير (٢٦) ·

والمجال لا يتسع لذكر ما تواتر عن المآسأة الدامية التي حاقت بالمسلمين من سكان بيت المقدس ، ولا للمذبحة التي خاض فيها الصليبيون في دماء المسلمين بالمسجد الاقصى (٢٧) · والواقع أن العالم الاسلامي ـ آنذاك ـ كان في أشد الحاجة الى هذه المأساة وتلك المذبحة ، والى ضياع المدينة المقدسة ، والى أفواج من المهاجرين اللاجئين من المسلمين يقدمون الى أهالي بغداد السنية والى القاهرة الفاطمية صورا باكية ومبكية ، تدعو الى نبذ الفرقة ، وتناسي الاحقاد المذهبية الضيقة ، والعودة الى آفاق الاخوة الاسلامية الرحبة · وقد سبقت الاشارة الى مدى تردى الاوضاع في السلطنة السلجوقية العظمى عند مجيء الصليبيين · والدليل على أن الفاطميين لم يكونوا قد أدركوا بعد ـ حتى سقوط بيت المقدس في أيدى الصليبيين ـ طبيعة الخطر الصليبي وكنهه ، هو أن الحاميات الفاطمية في موانىء الساحل لم تحاول اعتراض سبيل القوات الصليبية أثناء زحفها الخاطف من عرقة جنوبا ، وأن الوزير الفاطمي · الافضل تأخر عندما خرج بحملته التي أراد منها انقاذ بيت المقدس المحاصرة ، فقد وصل الى عسقلان ، بعد أن كان الصليبيون قد استولوا على المدينة المقدسة بعشرين يوما · وسبب ذلك أن الفاطميين كانوا لا يزالون أسرى اعتقادهم الخاطىء بأن الصليبيين انما يعملون مرتزقة في خدمة الدولة البيزنطية ، وأنه من الممكن الاستفادة منهم كحاجز يمنع عنهم خطر السلاجقة حماة أهل السنة · وفي هذا المعنى يقول صاحب الدول المنقطة : (ولما ملك الافرنج القدس ندم الافضل حيث لم ينفعه الندم ، لانه كان أحب نزولهم الساحل ليكونوا مانعين من نفوذ الترك الى ديار مصر (٢٨) ·

وهكذا يمكن القول بأن كبار حكام المسلمين وصغارهم كانوا ـ أول مجيء الصليبيين الى المشرق ـ في غفلة تامة عن ادراك طبيعة الخطر الصليبي ودوافعه وأهدافه والقوى الاوروبية التي تقف وراءه وتحركه · وطبيعي أن يأتي الوقت الذى يفيق فيه المسلمون وحكامهم من غفلتهم ، ويستردوا وعيهم ، ويفتحوا عيونهم على التحدى الصليبي ، وأن يبدأوا ـ عندما يأتي ذلك الوقت ـ في مواجهة ذلك التحدى والتصدى له · وبين الغفلة التامة من قبل المسلمين وحكامهم ، وبين بداية افاقتهم وقعت أحداث ومشاهد في مجرى التاريخ العام للحركة الصليبية وهي لا تزال في مهدها . حاول الباحث أن يعتبرها ارهاصات للافاقة الاسلامية نحو الخطر الصليبي (٢٩) ·

ثانيا : ارهاصات الافاقة الاسلامية

١ ـ أسر بوهيمند أمير أنطاكية ٤٩٣هـ ـ ١١٠٠م :

كان بوهيمند أمير أنطاكية قد تقدم بقواته في صيف ٤٩٣هـ ـ ١١٠٠م لقتال رضوان ملك حلب ، واستولى على بعض الحصون والنواحي التابعة له ، وأخذ يعد العدة لحصار طويل الامد يضربه على رضوان في حلب · (٣٠) وفي هذه الاثناء وصلته استغاثة من جبريل الارمني المتغلب على ملطية في قلب بلاد الجزيرة · ولم تكن أهمية ملطية خافية على المسلمين وحكامهم ، (٣١) فهي همزة الوصل بين الاراضي الاسلامية في بلاد الجزيرة وما يليها شرقا ، وبين أراضي المسلمين بالروم · وقد حاول كل من قلج أرسلان ، وابن الدانشمند ، الاستيلاء عليها قبل ثلاث سنوات · وكان قلج أرسلان

يحاصرها ٤٨٩ ـ ١٠٩٦م وتخلى عن حصارها عندما علم بأخبار وصول طلائع الحملة الصليبية الاولى الى أسيا الصغرى · وكان ابن الدانشمند يوالى الاغارة عليها منذ ذلك الوقت ·

ولما حاصر ابن الدانشمند ملطية صيف ٤٩٣ ـ ١١٠٠م فضل أميرها الارمني الاستعانة ببوهيمند رغم بعد امارته : أنطاكية ، على أن يستعين ببلدوين دى بويون ، أمير الرها ، رغم قرب الرها منه ، ورغم ان بلدوين هذا ، كان زوجا لابنته ·وسبب ذلك أن بلدوين تولى امارة الرها على جثة أمير أرمنى نظير لجبريل هو : ثوروس · واهتبل بوهيمند الفرصة ادراكا منه لاهمية ملطية . فترك قواته تواصل عملياتها الحربية عند حلب ، وأسرع ومعه قريب له يدعى : ريتشارد دى سلرن في قوات من الفرسان والمشاة قدرتها المصادر الاجنبية بما يقرب من الخمسمائة ، على حين قدرها ابن الاثير بعشرة أضعاف هذا العدد (٣٢) · وفي الطريق الى ملطية مر بوهيمند على مدينة مرعش (٣٣) وحاول أن ينتزعها من اميرها الارمنى المتغلب عليها واسمه ثاتول · وكان ثاتول هذا موضع اعجاب وتقدير أبناء جلدته · (٣٤) وصمد ثاتول ، فاستحث حاكم ملطية بوهيمند الاسراع فتخلى هذا عن مرعش ، واستأنف تقدمه ، فوقع ومن معه من الصليبيين في كمين ، أحكم ابن الدانشمند اعداده ، فلم يفلت أحد من الصليبيين من القتل ، ووقع بوهيمند وقريبه في الاسر ·

ولاول مرة تنتصر قوات اسلامية على قوات صليبية وتستأصلها وتأسر واحدا من أبرز أمراء الصليبيين وهو بوهيمند · وكان بوهيمند هذا مصدر رعب في المشرق الاسلامى كله · وكان الصليبيون حتى وقوع بوهيمند في أسر ابن الدانشمند واستئصال من معه من الصليبيين ، قد قضوا ثلاث سنوات ـ تقريبا ـ جاسوا أثناءها خلال الديار ـ ديار المسلمين ـ وخاضوا طيلتها عدة معارك انتصروا فيها على المسلمين ، حتى ظن المسلمون أن عدوهم لا يقهر · واحاطت بالصليبيين هالة من المجد حتى خيم اليأس على نفوس المسلمين · ولهذا جاء انتصار ابن الدانشمند ووقع بوهيمند في قبضته اول حدث من أحداث الحركة الصليبية ـ وهى لا تزال في المهد ـ أتاح للمسلمين أن يستردوا شيئا من الثقة في أنفسهم . وأن يدركوا أن عدوهم من الممكن التصدى له وقتاله والانتصار عليه اذا ما أحكموا التدبير وهذا في حد ذاته مكسب للقضية الاسلامية·

وعلم الصليبيون في أنطاكية بوقوع أميرهم في الاسر واستئصال جميع من معه من المقاتلين ، فهربت قواتهم التى كانت تقوم بعملياتها الحربية ضد حلب تاركة جميع ما كانت قد أعدته لحصار هذه المدينة الاسلامية · وتجرأ المسلمون في حلب فهاجموا بعض الحصون الصليبية القريبة وقضوا على الحاميات الصليبية فيها (٣٥) · وبلغ من ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين في حلب ـ بعد النصر الذى أحرزه ابن الدانشمند ـ أن أرسلوا الى الصليبيين في أنطاكية يطلبون تسليمها (٣٦) · ومع أن الصليبيين في أنطاكية لم يستجيبوا لما طلبه المسلمون ، ومع أن الصليبيين أيضا تمكنوا بعد قليل من العودة الى تهديد حلب والتضييق عليها ـ وتوضيح ذلك خارج عن نطاق البحث ـ فان اللحظات التى أسترد فيها المسلمون ثقتهم بأنفسهم وارتفعت أثناءها روحهم المعنوية مما لا يصح اغفاله ، وكذلك نجاح المسلمين في حلب في استرداد بعض الحصون والاماكن من

الصليبيين جعل المسلمين يدركون أن اغتصاب العدو لبعض الاراضى لا يعنى تملكه لها الى الابد ، وانه في استطاعة المسلمين ـ اذا عقدوا النية واصطنعوا الجد ـ استرداد ما اغتصبه عدوهم ·

وترتب على انتصار ابن الدانشمند وأسره لبوهيمند وانتصاله لصليبيين الذين كانوا معه ، وقوع الريبة والشك بين كل من الصليبيين والمسيحيين الشرقيين على اختلاف مذاهبهم فقد تبادل الجميع التهم ، والقى الصليبيون تبعة ما حاق بأميرهم وصحبه على المسيحيين الشرقيين (٣٧) · ووقوع الريبة والشك بين الصليبيين والمسيحيين الشرقيين ، في صالح القضية الاسلامية دون شك · ثم ان وقوع بوهيمند في أسر ابن الدانشمند سوف يخدم القضية الاسلامية كما سنرى ـ بعد قليل ـ عند الحديث عن حملات ١١٠١م الصليبية · هذا بالاضافة الى أن أسر الامير الصليبى قلل من نشاط أتباعه في امارة انطاكية · وطال بقاء بوهيمند في الاسر ما يقرب من ثلاث سنوات ،ذلك أن ابن الدانشمند أضطر الى أطلاق سراحه ١١٠٣م لاسباب تتعلق بالمجرى العام لاحداث الحركة الصليبية ـ لا يتسع المجال لذكرها ـ وانما يهمنا أن نشير الى أن من أسباب اطلاق ابن الدانشمند لسراح بوهيمند ، أن الصليبيين تعهدوا بعدم التعرض لابن الدانشمند اذا ما أراد الاستيلاء على ملطية · وتمكن ابن الدانشمند فعلا من الاستيلاء على ملطية بعد ذلك مباشرة فأمن بذلك اتصال المسلمين في الاناضول واسيا الصغرى باخوانهم في الشام والعراق ، وحال بذلك بين الصليبيين وبين تملك هذه المدينة ذات الموقع الاستراتيجى الهام ·

٢ ـ القضاء على حملات ٤٩٤هـ ـ ١١٠١م الصليبية :

جاءت هذه الحملات الى الشرق الاسلامى تباعا سنة ١١٠١م نتيجة للنجاح الذى حققته الحملة الصليبية المعروفة بالاولى ، في اقامة امارات صليبية بالمشرق الاسلامى · ذلك أن أخبار هذا النجاح ذاعت في مختلف انحاء أوروبا وخاصة عندما بالغ العائدون ممن اشتركوا في تلك الحملة ، في ذكر خيرات المشرق والفرص المتاحة أمام الراغبين في التكوين لانفسهم من الاوربيين الذين سوف يقدمو نعلى حمل شارة الصليب · هذا بالاضافة الى أن أولئك العائدين ذكروا أن الامارات الصليبية الناشئة في المشرق ، في حاجة ملحة الى حشود من المهاجرين والمقاتلين ، حتى يتسنى لها أن تثبت أقدامها ،ثم تصمد وتوسع من رقعتها وذكر أولئك العائدون ـ ولا شك ـ ما تبدى لهم من نواحى الضعف بين المسلمين واستجابت أوروبا لهذا وذاك ، فتقدمت الحملات التى سوف نتحدث عنها · والحديث عنها سوف يقتصر على محاولة توضيح ما يمكن اعتباره ارهاصا وبشيرا بافاقة المسلمين ·

حملة اللمبارد :

كانت هذه الحملة أشبه بهجرة شعبية ضمت أعدادا من المحاربين وحشودا من غيرهم ، قدرت بحوالى مائتى ألف (٣٨) ، ويرأسها مطران ميلان وعدد من الكونتات ، ووصلت الى مشارف القسطنطينية في مارس ١١٠١م · وعجل الامبراطور الكسيوس فى

نقلها الى البر الاسيوى ، فتجمعت بعد شهر في نيقوميدية ولحق بها ـ في أقل من شهر ـ عدد من بارونات فرنسا ، وأتباعهم من الصليبيين ، ونزلوا بدورهم في نيقية · واتفق على أن يتولى قيادة هؤلاء وأولئك : ريموند الصنجيلى وكان واحدا من أبرز قادة الحملة الصليبية المعروفة بالاولى · وكان موضع ثقة الامبراطور البيزنطى ، وأمد الامبراطور هذه الحشود من الصليبيين ببضع مئين من جنوده المرتزقة ، يقودهم :تزيتاس يعملون كأدلاء ومرشدين ، ووصلت أخبار هذه الحشود الصليبية الى من قرب من حكام المسلمين فتناسى قلج أرسلان ، سلطان السلاجقة بالروم ، وابن الدانشمند ما بينهما من فرقة وانقسام وأمدهما رضوان السلجوقي ملك حلب بقوات (٣٩) ، وهذا في حد ذاته ارهاص افاقة وبشير خير وفي أواخر مايو ١١٠١م تحركت هذه الحشود من نيقية ونيقوميدية نحو الشرق ، والمفروض أن هدفها الاول الوصول الى بيت المقدس ، وسد ما تعانيه الاملاك الصليبية من حاجة ملحة الى المقاتلين والمهاجرين وكان عليها اذا ما أرادت تحقيق هذا الهدف أن تسلك طريق : دور اليوم ـ قونية ـ ممرات طوروس الى أنطاكية ومنها الى بيت المقدس (٤٠) · ولكن اللمبارد ـ وهم يكونون الغالبية من هذا الحشد ـ أصروا على اتخاذ طريق آخر بقصد تخليص بوهيمند من الاسر فهم يعتبرونه زعيما من زعمائهم وبطلا من أبطال الصليب (٤١) وهو وحده الذى يستطيع أن يقودهم الى النصر· وهناك من قال بأن اللمبارد أرادوا أيضا من طريقهم الذى سلكوه ضرب بغداد قلب العالم الاسلامى آنذاك (٤٢) فتوجهت الى أنقرة ثم تقدمت نحو الشمال الشرقى فوصلت الى جنجرا وهنا بدأت القوات الاسلامية المتحالفة تلحق بالعدو الضربات المتلاحقة · وبدأت عوامل الانقسام والتنافر بين الحشد الصليبى في الظهور ، وتعددت الرياسات ، وتوالت ضربات القوات الاسلامية · وفي أوائل أغسطس ١١٠١م حدثت المعركة الفاصلة بالقرب من سيواس · وفيها قضت القوات الاسلامية المتحالفة على هذه الحشود الصليبية فلم ينج منها الا الشريد وقدرت خسائر الصليبيين بما يقرب من ٨٠٪ (٤٣) ·

وثانى حملات ١١٠١م الصليبية هى حملة وليم الثانى كونت ناقار وقد انضم اليه نظراء أقل شأنا ، فضلا عن بعض الحجاج الفرنسيين ، ممن حملوا الصليب · وقدرت هذه الحملة بخمسة عشر الفا (٤٤) · ووصل كونت ناقار الى القسطنطينية حوالى منتصف يونيو ١١٠١م ثم رحل منها فوصل الى أنقرة (٤٥) · ولم يشأ أن يسلك طريق الحشود التى سبقته فتركها ٢٥ يوليو ١١٠١م نحو قونية (٤٦) التى غادرها بعد عشرين يوما صوب هرقلية ، وخفت القوات الاسلامية المتحالفة ـ ولما يمضى على انتصارها السابق قرب سيواس أكثر من نصف شهر ـ للقاء هذه الحملة · وتوالت هجماتها على العدو ليل نهار ، ما بين قونية وهرقلية · وعلى مقربة من هرقلية دارت الوقعة الفاصلة · ولم ينج من هذه الحملة سوى بضع مئين ، من الخيالة ، فروا مع قائدها وليم الثانى ، وتعرض الفارون للمتاعب والهجمات فلم يصل منهم الى الشام غير الكونت في ستة من أتباعه·(٤٧)

وآخر حملات تلك السنة كانت بقيادة وليم التاسع دى بوتيير ، دوق اكويتانيا وولف الرابع دوق بافاريا (٤٨) · وبلغ مجموع قواتهما ستين الفا ، بما في ذلك النساء وغير المحاربين ، ووصلت هذه الحملة الى القسطنطينية · ثم عبرت الى البر الآسيوى فسلكت طريق قونية · وفي الطريق الى هرقلية تصدت لها القوات الاسلامية المتحالفة وقد انضاف اليها حليف اسلامى جديد هو قراجة أمير حران (٤٩) · وعلى مقربة من هرقلية دارت

الموقعة الفاصلة حوالى أوائل سبتمبر ١١٠١م ، ولم ينج من هذه الجموع غير وليم التاسع مع واحد من أتباعه ثم وليم الرابع (٥٠) ٠

والتقديرات العددية لحشود ١١٠١م الصليبية التى سبق ذكرها مستمدة من مصادر البحث الاجنبية ، وهى تكا د أن تتفق وما ذكرته مصادر البحث الاسلامية ٠ اذ يقول ابن الاثير (٥١) ثم وصل من البحر سبعة قمامصة من الفرنج وأرادوا تخليص بيمند ٠٠٠ فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقى الفرنج ، وجعل لهم كمينا ، وقاتلهم ٠ وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد من الفرنج ٠ وكانوا ٣٠٠ر٠٠٠ غير ٣ر٠٠٠ هربوا ليلا وأفلتوا مجروحين ويؤيد هؤلاء وأولئك مؤرخ أرمنى شرقى عاصر تلك الاحداث هو متى الرهاوى (٥٢) ٠

وأدى مصير حشود ١١٠١م الصليبية الى التصاق تهمة التواطؤ ضد الصليبيين بالامبراطور الكسيوس وشعبه ٠ ذلك أن الصليبيين حملوا الامبراطور والشعب الاغريقى تبعة ابادة هذه الحشود لانه هو وشعبه غرروا بها وضللوها واتصلوا بالمسلمين ليبيدوها (٥٣) ومهما يكن من أمر هذه التهمة ومدى صحتها ، وبالرغم من أن المنصفين من الباحثين الغربيين برأوا ـ فيما بعد ـ الامبراطور وشعبه منها ، فانها ذاعت في ذلك الوقت في أوروبا وشاعت ، وصادفت هوى في نفوس الصليبيين ، ونمت التهمة وكبرت بمرور الزمن ، حتى آتت أكلها ١٢٠٤م عندما هاجمت الحملة الصليبية الرابعة عاصمة الدولة البيزنطية ، وفتحتها عنوة واحتلتها ٠ واضطر البيزنطيون لنقل عاصمتهم الى ساحل البحر الاسود الآسيوى ٠ ولم يقتصر اتهام الصليبيين على الامبراطور البيزنطى وشعبه بل شمل أيضا الشعب الارمنى ، فقد اتهم أيضا ـ بدوره ـ بالتواطؤ مع المسلمين خاصة وأن الحشود الصليبية نزل بها ما نزل في مناطق يكثر فيها الارمن (٥٤) ٠ وجاء اتهام الامبراطور البيزنطى وشعبه وكذلك اتهام الشعب الارمنى منذ ذلك الوقت فى صالح المسلمين دون شك ٠

وكذلك أدى مصير حشود ١١٠١م الصليبية الى حرمان الاملاك الصليبية الناشئة في المشرق من الرجال والمقاتلين والمستعمرين ، فقد كانت تلك الاملاك تعانى نقصا فاحشا في هذا الصدد ، لقد كانت هذه الحشود كافية في نظر البعض (٥٥) لفتح دمشق وحلب ، أما وقد حدثت الكارثة ، فان الظروف لم تسمح بعدها للامارات الصليبية الناشئة بمثل هذه الهجرة الشعبية من أوروبا وتحتم على تلك الامارات أن تعمل في حدود ضيقة أملاها وصول بضع مئين من حين الى آخر واقتصر همها على الساحل ٠ والذى حال بين أوربا وبين ارسال حشود مماثلة لحشود ١١٠١م الصليبية الى المشرق منذ تلك السنة أن الطريق البرى الى الاملاك الصليبية سد في وجه الراغبين في حمل الصليب، بعد النصر الذى حققته القوات الاسلامية المتحالفة ١١٠١م ٠ وغدا على الراغبين في حمل الصليب من الاوربيين اتخاذ البحر طريقا ٠ وهو طريق باهظ النفقات ، وامكانياته أقل من أن تنقل حشودا في ضخامة حشود ١١٠١م ٠ ثم ان اتخاذ هذا الطريق يجعل القوات الصليبية المنقولة بواسطته ، تحت رحمة من عندهم السفن والاساطيل ، وهم آنذاك :مدن ايطاليا التجارية ، وعلى رأسها البندقية وجنوة ٠ ومصالح هذه المدن قد لا تتفق دائما ومصالح الراغبين فى حمل الصليب من الاوربيين ، فضلا عن مصالح الاملاك الصليبية في المشرق ٠ ثم أن تحالف

القوى الاسلامية ١١٠١م واستمراره في ميدان القتال أكثر من شهرين ، وتماسك القوى المتحالفة يمثل صورة من وحدة الصف ، ووحدة الهدف ، ووضوح الرؤية والاخوة في حمل السلاح ، والقدرة على تنحية أسباب الفرقة والانقسام الجانبية بين الاخوة في الدين والوطن والمصلحة المشتركة ، وهذا كله كانت تفتقر اليه أمثال هذه القوات ، ويفتقر اليه القادة ١١٠١م · المسلمون الذين تجمعوا قبل ذلك بسنتين فقط وهم يحاولون انقاذ مدينة أنطاكية من مخالب الحملة الصليبية المعروفة بالاولى (٥٦) · ان هذا التحول في موقف قوات وحكام المسلمين تجاه العدو المشترك ، كما ظهر واضحا في أحداث ١١٠١م هو الذى يشجع الباحث على أن يعتبره ارهاصا من ارهاصات الافاقة الاسلامية ازاء الخطر الصليبي يبشر بالخير ·

٣ ـ المحاولات الفاطمية لتخليص بيت المقدس :

أ ـ المحاولة الاولى (موقعة عسقلان ـ رمضان ٤٩٢هـ ـ أغسطس ١٠٩٩م)

قام بهذه المحاولة الوزير الفاطمى الافضل بن بدر الجمالى ، وذلك عندما علم بأن الصليبيين يحاصرون مدينة بيت المقدس · وحشد الافضل قواته وما كان ممكنا من مال وسلاح وخيل) (٥٧) ولكنه وصل الى عسقلان ١٤ ـ أغسطس وقد فات الاوان ،ذلك أن الصليبيين كانوا قد أستولوا على المدينة المقدسة منذ عشرين يوما · ووصول الافضل الى عسقلان متأخرا دليل على أنه لم يدرك بعد حقيقة الخطر الصليبى · والدليل ـ أيضا ـ على أن الفاطميين كانوا لا يزالون أسرى اعتقادهم الخاطىء بأن الصليبيين انما يعملون في خدمة المصالح البيزنطية وأنهم لا يشكلون خطرا حقيقيا على المصالح الفاطمية ، هو أن الافضل عندما وصل الى عسقلان (أرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم) (٥٨) على حد قول ابن الاثير · وكأن الصليبيون انما قدموا من بلادهم ، وقاسوا ما قاسوه وخاضوا ما خاضوه من حروب ، واستولوا على ما استولوا عليه من أراض اسلامية في شمال سوريا وشرقى الفرات حيث أمارة أنطاكية الناشئة وامارة الرها الناشئة أيضا ··· اقول وكأنهم قاموا بذلك كله ليأتى الوزير الفاطمى فيأمرهم بالتخلى عن مدينة بيت المقدس ويتهددهم ·

وأخبار المعركة التى أنتصر فيها الصليبيون قرب عسقلان على الوزير الفاطمى الافضل ـ في محاولته هذه ـ مفصلة في المصادر ، (٥٩) ويهمنا منها ذكر بعض الحقائق التى لها صلة بموضوع البحث معتمدين في ذلك على نصوص من المصادر الاسلامية · وأول هذه الحقائق أن المعسكر الفاطمى كان يلتقى بالصليبيين لاول مرة · فلا علم له بالعدو وأسلحته وخططه الحربية ، على حين كان العدو يلتقى بالمعسكر الفاطمى بعد خبرات طويلة اكتسبها في قتال نظراء لذلك العسكر من المسلمين السلاجقة طيلة السنتين السابقتين لموقعة عسقلان هذه · ولهذا أستطاع العدو أن يستدرج الفاطميين الى القتال ويأخذهم على غرة (ولم يكونوا على أهبة القتال ، فنادوا الى ركوب خيولهم ، ولبسوا أسلحتهم ، وأعجلهم الفرنج فهزموهم ، وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما في المعسكر من مال وسلاح) (٦٠) على حد قول ابن الاثير أيضا · والحقيقة الثانية هى أن الفاطميين التقوا بالعدو في هذه الموقعة ، وقد أحاطت به هالة من المجد الحربى فعجزوا عن أن يستردوا رباطة

جاشهم ولم يجرءوا على ابداء أية مقاومة (ولعبت سيوف الفرنج في المسكر والراجل والمطوعة) على حد قول سبط ابن الجوزى (٦١) وفي أقل من ساعة انتصر الصليبيون فى وقعة عسقلان هذه يوم ١٤ أغسطس ١٠٩٩م ، (وهزم الافضل ٠٠ أقبح هزيمة) (٦٢) ٠ وعاد الوزير الافضل في فلول قواته الى القاهرة متخطيا عسقلان وحاميتها ٠

والحقيقة الثالثة عن حملة الافضل هذه ، والتى لها صلة بالبحث هى أن هالة المجد الحربى التى أحاطت بالعدو الصليبى لم يقتصر أثرها على المعسكر الفاطمى في ميدان القتال فحسب ، بل أمتد الى من كان من ذلك المعسكر معتصما بمواقع حصينة مثل عسقلان ٠ وذلك أن الصليبيين ـ بعد انتصارهم على الوزير الافضل ـ قصدوا عسقلان يريدون الاستيلاء عليها ٠ مع أنه كان في مقدور حامية عسقلا نالفاطمية أن تستميت في المقاومة معتصمة بتحصينات مدينتهم ، وبامكان وصول الميرة والذخائر وغيرها من الامدادات ـ اليها ـ عن طريق البحر ، الا أنها لم تفعل ـ ولم تصمد حامية عسقلان وأهلها في القتال الذى دار بينهم وبين الصليبيين ، وانتصر العدو (وحكى أن الذين قتلوا في هذه الموقعة من أهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها، سوى أجنادها الفان وسبعمائة نفس)٠على حد قول ابن القلانسى (٦٣) ٠ ولم يحل بين العدو وبين الاستيلاء على عسقلان ـ آنذاك ـ سوى تنافس زعماء الصليبيين على من منهم ستكون له (٦٤) ٠ وأفلتت عسقلان منتئذ من الوقوع في أيدى الصليبيين ٠

وآخر الحقائق عن حملة الافضل هذه ، والتى لها صلة بالبحث هى ، أن أيا من المصادر العربية لم يذكر أن الفاطميين فكروا ـ حتى ذلك الوقت ـ وهم يواجهون الخطر الصليبى في التعاون مع السلاجقة بالشام ، وتناسى الاحقاد المذهبية ٠ ومع ذلك فان بعض المصادر الاجنبية تذكر أن قوات الافضل التى هزمها الصليبيون في معركة عسقلان ـ هذه ـ أشتملت على أعداد من مقاتلى السلاجقة الاتراك فضلا عن أعداد من العشائر العربية في سوريا، وأن هؤلاء وأولئك جاءوا في طليعة من لاذوا بالفرار لحظة بدء القتال (٦٥)٠

وهذه المحاولة الفاطمية الاولى كان لا بد من ذكرها لانها اشتملت كما رأينا على معظم السلبيات في موقف مصر الفاطمية من الخطر الصليبى حتى ١٠٩٩م ٠ وسوف يتضح لنا عند الحديث عن المحاولات الفاطمية التى تلتها ، كيف حاول الوزير الافضل والمسكر الفاطمى تخطى هذه السلبيات مما سيعتبره الباحث من ارهاصات الافاقة الاسلامية٠

ب ـ المحاولة الثانية : موقعة الرملة الاولى ـ سبتمبر سنة ١١٠١م ٠

بدأ الخطر الصليبى يتضح بالنسبة للفاطميين في مصر بعد موقعة عسقلان السابقة، ذلك أن الصليبيين في مملكة بيت المقدس الناشئة بدأوا يستغلون وصول أخوانهم القادمين من أوربا لاداء فريضة الحج وللبحث عن مستقبل لهم في الشرق الاسلامى ٠وكان هؤلاء القادمون الجدد قد جاءوا عن طريق البحر تحملهم أساطيل من مدن ايطاليا التجارية وفي مقدمتها جنوة ٠ واجتهد الصليبيون في بيت المقدس في انتهاز الفرصة واستعانوا بالاسطول الجنوى في الاستيلاء على موانىء الساحل الفلسطينى وفي طليعتها ميناء (أرسوف) ورحب الجنويون بذلك مقابل امتيازات تجارية تمنح لهم في هذه الموانىء ٠ وفي أبريل

١١٠١م استولى الصليبيون على ميناء أرسوف دون مقاومة تذكر ، فقد استسلم أهل على أمان ، حرص الصليبيون على تنفيذه (٦٦) · وفي أقل من شهر توجه الصليبيو والاسطول الجنوى الى قيسارية شمالى أرسوف وبدأوا في حصارها من مايو ١١٠١م وكانت قيسارية حصينة تحيط بها الاسوار فقاومت حاميتها الفاطمية واستبسل أهلها ، المسلمين في الدفاع عن مدينتهم ودام الحصار ما يقرب من نصف شهر · واستطاع النجارة من الجنويين انشاء أبراج أعلى من أبراج قيسارية وأسوارها · وفي ١٧ مايو ١١٠١ استولى الصليبيون على قيسارية عنوة وارتكبوا مذبحة لا تقل في قسوتها عن مذابح المغو أيام جنكيزخان على حد تعبير واحد من المؤرخين الغربيين (٦٧) ·

والدليل على بداية وضوح الخطر الصليبى بالنسبة للفاطميين في مصر أن الوزير الافضل أرسل حملة بقيادة سعد الدولة المعروف بالقواس تهدف ـ فيما يبدو ـ الى انق ميناء قيسارية المحاصر قبل أن يستولى عليها الصليبيون · ولكن الصليبيين فوتوا الفرص على الفاطميين باستيلائهم السريع على قيسارية نتيجة للخدمات التى أداها الاسطو الجنوى ورجاله ومن ثم حاول القائد الفاطمى الهجوم على مدينة الرملة ، وخش الصليبيون ـ وقد استولوا على قيسارية ـ لانقاذها فتراجعت القوات الفاطمية الى عسقل وبقيت فيها لمدة أشهر في انتظار وصول امدادات من مصر ، وفي نفس الوقت في انتظ رد السلاجقة حكام دمشق على مبادرة تهدف الى عقد تحالف (٦٨) لمواجهة الخطر المشترك وفي أوائل سبتمبر وصلت (سفن قادمة من أوربا يبلغ عددها الثلاثين حاملة بضعة آلا من الصليبيين الى يافا) وحال وصول هذا الاسطول دون وصول أسطول فاطمى كان الطريق لموآزرة القوات التى في عسقلان (٦٩) وفي نفس الوقت لم يستجب السلاجقـ حكام دمشق للمبادرة الفاطمية ، ومن ثم دار قتال بين القوات الفاطمية والصليبيين هند الرملة · والذى يتصل بموضوع البحث من وقعة الرملة هذه أن النصر فيها جاء ـ ا حد كبير ـ قسمة بين الفاطميين والصليبيين : تمكنت بعض القوات الفاطمية من د ثلاثة من أقسام القوات الصليبية الخمسة التى حشدها بلدوين الاول ملك بيت المقدس وتعقبتها حتى أسوار يافا ، على حين تمكن القسمان الاخران من الصليبيين بقيادة ملكـ من دحر بقية القوات الفاطمية وتعقبتها حتى عسقلان ، وتساوت خسائر الجانبين من القت ولاول مرة يذكر المؤرخون من المسلمين الحاق الفاطميين ضربة موجعة بالصليبيين (٧٠)

وانتصار القوات الفاطمية ـ وان كان جزئيا ولم يترتب عليه نتائج يؤبه بها يبشر في حد ذاته بالخير · ثم ان سعى أولى الامر في مصر الفاطمية الى محالفة السلاج من حكام دمشق ـ وان لم يلق قبولا ـ يعتبر أيضا في حد ذاته تحولا جديرا بالانتباه ·

المحاولة الثالثة (معركة الرملة الثانية مايو ١١٠٢م) :ـ

واستأنفت مصر الفاطمية جهادها ، فبعث الوزير الافضل حملة بقيادة ابنه : شر المعالى ، وصلت الى عسقلان في رجب ٤٩٥هـ (أبريل ـ مايو ١١٠٢) · وتقدم شر المعالى نحو الرملة ، وفي الطريق اليها انضمت اليه أعداد من عرب البادية · ويبدو الفاطميين بدأوا يستفيدوا من خبراتهم في قتال العدو ، فحرصوا على تعمية أخبارهم واصطنعوا شيئا من الحيطة والحذر في قتاله (٧١) ، على حين بالغ العدو الصليبى

الاستهانة بالمقاتلين من المسلمين · وخف بلدوين الاول ، ملك بيت المقدس ، للقاء المسلمين في خيرة فرسانه ، وانضم اليه أعداد من مقدمي فرسان الصليب الذين كانوا قد أفلتوا من حملات ١١٠١م الصليبية التى سبق ذكرها (٧٢) · واندفع بلدوين ومن معه من الفرسان غير عابىء باصطحاب قوات من المشاة بالرغم مما يشكله ذلك من خطورة ، ذلك أن احتمالات النصر في معركة ينقصها المشاة قليلة جدا (٧٣) · ونجح المسلمون فى تعمية أخبارهم حتى وجد بلدوين وصحبه أنفسهم فجأة بين مخالب القوات الاسلامية ·

وفي ١٧ مايو ١١٠٢ دارت موقعة الرملة الثانية ، وفيها انتصر المسلمون فأبيدوا أكثر من مائة من كبار مقدمي الصليبيين وقتلوا الباقين ، ولم ينج غير الملك الصليبي في ثلاثة من أتباعه تعقبهم المسلمون فقتلوا الاتباع ، وتمكن الملك من الاختفاء في أجمة قصب ، فأشعلت فيها النيران · وظن المسلمون أن الملك الصليبى سوف يحترق ولا شك ، ولكنه أصيب فقط ببعض الحروق ، وفي الليل تمكن بلدوين من النجاة وفر الى ميناء أرسوف (٧٤) ·

ثم حاصر المسلمون الرملة ، واقتحموها عنوة فأسروا ثلاثمائة من حاميتها الصليبية ، وقتلوا الباقين وعددهم أربعمائة ،وانتقموا بذلك الى حد ما للمذبحة التى ارتكبها الصليبيون مع مسلمى قيسارية قبل ثمانية أشهر (٧٥) · ويبدو أن طائفة من القوات الاسلامية أرادت التوجه لتخليص بيت المقدس ، على حين أرادت طائفة أخرى التوجه للاستيلاء على ميناء يافا (٧٦) ··ومما زاد في خطورة هذا الاختلاف أن كلا من القوات الفاطمية وعرب البادية الذين أشتركوا في المعركة ادعى (أن الفتح له) (٧٧) · وتعلب الرأى القائل بالتوجه الى يافا ، ذلك أن بلدوين كان قد تمكن من الوصول اليها يوم ١٩ مايو ، بفضل مخاطر انجليزى نقله على سفينته من أرسوف · وألقى المسلمون الحصار على يافا في اليوم التالى لوصول بلدوين اليها وأسرع بلدوين في تسريب من يستصرخ أتباعه في مملكة بيت المقدس طالبا النجدة ، كما أسرع في ارسال من يستحث اخوانه من الصليبيين في الرها وفي أنطاكية القدوم للاسهام في الدفاع عن المملكة الصليبية التى تهتز الارض تحت أقدامها ·

وبينما المسلمون يحاصرون يافا من البر كان الاسطول المصرى يحاول ضرب الحصار عليها من البحر · واتفق في ذلك الوقت أن وصل الى ميناء يافا أسطول انجليزى ، من مائتى سفينة ، مشحونا بالصليبيين من فرنسا وانجلترا والمانيا (٧٨) · وجاءت الرياح بما تشتهى السفن الانجليزية فاخترقت الحصار الذى كان الاسطول المصرى يحاول أن يضربه على يافا ، ونزل القادمون من الصليبيين الى الميناء · وانضم هؤلاء القادمون الجدد من أوربا الى بلدوين ومن معه ، كما انضم اليه مشاة الاسطول الانجليزى ،على حين وصل أتباع بلدوين ــ من مختلف أنحاء مملكته ــ في فرسانهم ومشاتهم لنجدته · وتجرأ الملك الصليبى فبدأ يناوش القوات الاسلامية المحاصرة ليافا من البر ، وحاول المسلمون أستدراجه الى حيث يمكنهم الالتحام به ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك ·

ثم دار قتال على مقربة من يافا لم يحرز فيه أى من الطرفين : الاسلامى والصليبى، انتصارا حاسما ، وتساوت خسائر الطرفين (٧٩) · وعاد المسلمون الى عسقلان كما عاد

الصليبيون الى يافا ، وبعد قليل وصل أمير الرها وأمير أنطاكية في قوات من الصليبيين. وأراد بلدوين الاستعانة بهم في الاستيلاء على عسقلان ، فتوجهوا اليها ، وحاصروها ولكنها صمدت ، فقد كانت الروح المعنوية للحامية الاسلامية بها مرتفعة الى حد كبير ، بعد الانتصارات التي حققها المسلمون قبل ذلك بقليل مما جعل بلدوين وصحبه من الصليبيين لا يخاطرون بالاستمرار في حصار عسقلان (٨٠) ٠

وأذا كانت القوات الاسلامية الفاطمية لم توفق كل التوفيق ، في استغلال الفرص التي سنحت لها أثناء قتالها للصليبيين في هذه السنة ، فان مرد ذلك يرجع ـ الى حد كبير ـ الى أن بعدا جديدا من أبعاد الحركة الصليبية قد بدأ يتكشف ويلقى بثقله ، ونعنى بذلك أن المسلمين من الفاطميين لم يكونوا يجاهدون الصليبيين الموجودين في المشرق فقط ، وانما كانوا يقاتلون أيضا من هم وراءهم ونعنى بذلك شعوب أوربا وأساطيلها والمغامرين من قرصانهم ٠ ومع ذلك فان العمليات الحربية الفاطمية التي ذكرناها في هذه السنة عرضت حياة بلدوين للخطر ٠ ولم ينج من الموت الا بأعجوبة ٠ كذلك مرت لحظات على الصليبيين في مدينة بيت المقدس غداة موقعة الرملة هذه ـ اهتزت الارض فيها من تحت أقدامهم ، وهموا بالجلاء عن المدينة المقدسة لولا أن ثبتهم ذوو الرأى والبصيرة من رؤسائهم (٨١) ٠ هذا الى ان المسلمين زادت ـ ولاشك ـ خبراتهم ومعلوماتهم عن قتال العدو وأساليب ذلك القتال ، كما وأن الهالة التي كانت تحيط بذلك العدو مرت عليها لحظات ضعف كادت فيها أن تختفى ، يوم أن رأى المسلمون فرسان الصليبيين وصناديدهم مجندلين في ساحة القتال ، ويوم أن وقع مئات من الصليبيين ـ وفيهم شخصيات بارزة ـ أسرى في قبضة المقاتلين المسلمين ، ويوم أن شهدت القاهرة الفاطمية أسرى الصليبيين بالمئات ٠ وهذا في حد ذاته كسب كبير ، وبشير خير ، وارهاص افاقة ٠

د ـ المحاولة الرابعة (صيف ٤٩٦ ـ ١١٠٣م) ٠

السبب في هذه المحاولة اقدام بلدوين الاول ملك بيت المقدس على محاولة أنتزاع عكا من حاميتها الفاطمية ٠ وقد بدأ بلدوين في حصار عكا حوالي منتصف أبريل ١١٠٣م مستغلا في ذلك بقاء بعض السفن من الاسطول الانجليزى الذى كان قد أتى الى المشرق صيف العام السابق ٠ وطال حصار بلدوين لعكا ، ونصب عليها المنجنيقات والابراج ، وبعد مضى ما يقرب من شهر أجتمع المسلمون من سائر السواحل ، وتقدمت اثنتا عشرة سفينة مصرية تحمل المقاتلين ، فضلا عن سفينة أخرى كبيرة مشحونة بالذخائر والميرة ٠ وأفلح المسلمون في حمل العدو عن رفع الحصار عن عكا ، وأحرقوا منجنيقاته وأبراجه والسفن الانجليزية التي كانت معه (٨٢) ٠

على أن انقاذ عكا ـ أنذاك ـ لم يعن زوال الخطر الصليبى عليها ، فبعث الافضل بقوات يقودها واحد من أبنائه هو : شرف الدولة ، كما بعث بقوات برية أخرى بقيادة أحد مماليكه واسمه : تاج العجم ، فضلا عن قوات بحرية بقيادة القاضى أبن قادوس ٠ ولم توضح مصادر البحث العلاقة بين هذه القوات الفاطمية ، وهل كانت تعمل تحت قيادة موحدة أو تعددت القيادات فيها ٠ والذى ذكرته مصادر البحث أن خلافا نشب بين تاج

جم وبين القاضى أبن قادوس أدى الى قلة فاعلية قواتهما · فقد وصلت القـــوات حرية بقيادة أبن قادوس الى مياه يافا ،بينما توقفت القوات البريـــة بقيادة تـــاج جم عند عسقلان ·

والذى يتصل بالبحث من أخبار هذه القوات الفاطمية أن شرف الدولة بن الافضل تب الىدمشق وغيرها باستدعاء العسكرللجهاد) (٨٣)، ومعنى هذاأنمصر الفاطمية جددت ادرتها التى تعنى التخلى عن طابعها المذهبى الضيق والخروج الى أفاق الاخوة الاسلامية اسعة · واستمرار مصر الفاطمية في مبادرتها هذه ارهاص افاقة · ويبدو أن السلاجقة كام دمشق السنية ، أستجابوا لهذه المبادرة ـ هذه المرة ـ من حيث المبدأ ـ ويفهم مما ره أبن القلانس أن السلاجقة في دمشق هموا بانفاذ عسكر استجابة للمبادرة الفاطمية كن (عاقت عن مسيره أسباب حدثت) (٨٤) ومع أن مصادر البحث لم تذكر شيئا عن يعة تلك الاسباب التى حالت بين دمشق السلجوقية وبين ارسال عسكر يقاتل الى جانب وات الفاطمية ، فان اطلاق تلك المصادر كلمة (الجهاد) على الجهود الحربية التى قام ا الفاطميون هذه السنة يمكن اعتباره : ارهاص افاقة ، فلأول مرة تستخدم كلمـــة الجهاد) في هذه الجبهة من جبهات المواجهة للخطر الصليبى · واكتفى الفاطميون من ودهم في هذه السنة بتموين ما تبقى لهم من موانىء على الساحل الشامى مثل عكا وصور يدا وغيرها (وكانت الاسعار بها قد أرتفعت والاقوات قد قلت فصلحت بما وصـــل الاسطول من القلة ورخص الاسعار) (٨٥) ·

هـ ـ المحاولة الخامسة (معركة الرحلة الثالثة أغسطس ١١٠٥م)

جاءت هذه المحاولة نتيجة لاحداث ١١٠٤ ففيها أستولى الصليبيون على ميناء عكا ٢٦ مايو ١١٠٤م) بعد حصار دام ما يقرب من عشرين يوما · والذى يتصل بالبحث أخبار أستيلاء الصليبيين على عكا ، أن بلدوين الاول ملك بيت القدس أستعـــان باطيل مدن ايطاليا التجارية وفي طليعتها أساطيل جنوة وبيزة في تحقيق الاطمـــاع صليبية وذلك مقابل أمتيازات تجارية تمنح لهذه الجمهوريات التجارية في الموانى التى هم في أنتزاعها من المسلمين (٨٦) · وكان لاستيلاء الصليبيين على عكا أثره في موقف شق السنية ، فان عكا ميناء من موانى الساحل الهامة بالنسبة لتجارة دمشق · والجدير ذكر أيضا أن والى عكا من قبل الفاطميين واسمه : زهر الدولة الجيوشى دافع عنها والحامية الفاطمية وسكانها من المسلمين حتى عجزوا عن الاحتفاظ بها ، مما يدل على هم لم يقصروا في الدفاع والمقاومة في حدود الامكانيات المتاحة لهم ، ولم يقتحمها عليهم ندو ويدخلها عنوة وانما أستولى عليها صلحا (٨٧) · وبعد استيلاء الصليبيين على عكا هر توفى دقاق السلجوقى أمير دمشق وألت السلطة فيها الى أتابكة طغتكين (٨٨) ·

وفي صيف ١١٠٥م بعث الوزير الفاطمى الافضل حملة بقيادة أبن له يدعى سناء لك الحسين ، ولما وصلت الحملة الى عسقلان جدد الفاطميون مبادرتهم (وأرسلوا الى تكين أتابك دمشق يطلبون منه عسكرا) (٨٩) · واستجابت دمشق السلجوقية السنية ه المرة للمبادرة الفاطمية ، نظرا لما سبق ذكره من أحداث العام الفائت · واستصوب تكين أتابك دمشق (فكرة المسير الى العسكر المصرى للاعتضاد على الجهاد) (٩٠)

واذا كان الباحث قد رأى اطلاق المؤرخين المسلمين كلمة (الجهاد) على الجهود الاسلا
١١٠٣م ضد الصليبيين ارهاصا للافاقة الاسلامية فانه يرى في نص ابن القلانس ـ و
مؤرخ دمشق السلجوقية الرسمي ـ على العمليات الحربية في هذه الحملة بقوله (للاعتف
على الجهاد) يرى فيه تأكيدا للارهاص بالافاقة · وبعثت دمشق السلجوقية السنية أ
قادتها ويدعى : صباوة ، على رأس الف وثلاثمائة من الفرسان للاعتضاد على الجم
مع القوات الاسلامية الفاطمية ·

وفي أغسطس ١١٠٥م تقدمت القوات الفاطمية بقيادة سناء الملك الحسين بـ
الافضل من عسقلان الى الداخل في فلسطين ، وانضمت اليها القوات السلجوقية القادمة
دمشق بقيادة صباوة والقادمة من شرقي الاردن عبر النقب · وأدرك بلدوين الاول م
بيت المقدس الاخطار الماثلة في تحالف دمشق والقاهرة لاول مرة فحشد أقصى ما يمكـ
حشده من المقاتلين فرسانا ومشاة ، وبذل رجال الدين من الصليبيين أقصى ما يمكن با
لاستثارة حماسة العامة في بيت المقدس · وتحركت حشود الصليبيين يتقدمهم البطري
حاملا الصليب الاعظم (٩١) · وفي ٢٧ أغسطس التقى الطرفان عند مدينة الرملـ
ودارت معركة أجمعت المصادر الاجنبية على أنها كانت شرسة ، وعلى أن القتال فيها ك
قتالا ضاريا ، واعترفت تلك المصادر بأن المسلمين استماتوا في القتال هذه المرة أكثر م
عهد منهم في المعارك التي سبقتها (٩٢) · وكذلك أجمعت المصادر الاسلامية ـ وأقرتها
ذلك المصادر الاجنبية ـ على أن أيا من الفريقين المتقاتلين لم يكن ليجرؤ أن يدعي النص
لنفسه (٩٣) · وأحجم كل من الطرفين عن تعقب الطرف الاخر عند عودته من ميد
المعركـــة الى بلاده ·

ان التحول الذى طرأ على موقف مصر الفاطمية من الخطر الصليبي ، أول مجي
الى المشرق ، حتى هذه المحاولة ارهاص افاقة نحو الخطر الصليبي · ان الفاطميين الذ
ظنوا أن الصليبيين مرتزقة في خدمة المصالح البيزنطية ، يمكن الاستفادة منهم في دفـ
خطر السلاجقة أهل السنة ، بدأوا يفتحون عيونهم على طبيعة ذلك الخطر وكنهـه
وامتشقوا الحسام . ونزلوا الى الميدان ، وتجرأوا على العدو الذى أعتقدوا أنه لا ية
وقاتلوا ، وقتلوا ، وداموا على ذلك بضع سنوات · ومهما يكن من أمر المحاولات الفاط
ـ التي ذكرت ـ ومدى تأثيرها على المجرى العام لاحداث الحركة الصليبية ، على المد
القريب أو البعيد لتلك المحاولات ، فالذى لا شك فيه هو أن القارىء وقف على مظاهر ذا
التحول ، وعلى التحسن الآخذ في الازدياد بالنسبة للفاطميين كمقاتلين في الميدان ،
كرجال سياسة على استعداد للتخلى عن النظرة المذهبية الضيقة ، والارتفاع الى رحا
الاخوة الاسلامية الواسعة ·

٤ ـ تحالف سقمان بن ارتق وجكرمش على الجهاد ٤٩٧هـ ـ ١١٠٤م (موقف حصن حوان صيف ـ ١١٠٤م) ·

قام هذا التحالف بين سقمان بن ارتق التركماني صاحب حصن كيفا ، في دي
بكر ، وبين جكرمش أمير الموصل وبلاد الجزيرة (٩٤) · وكان هذان الاميران يخوض
صراعا دب بينهما طيلة السنوات الثلاث التي سبقت قيام تحالفهما هذا · وفي أث

هذا الصراع قتل جكرمش واحدا من أبناء اخوة سقمان ، وانتهى الصراع بينهما بأن استقر سقمان في امارة حصن كيفا بديار بكر ، واستقر جكرمش في حكم الموصل وبلاد الجزيرة (٩٥) · وكان هذا الصراع امتدادا للصراع والتطاحن بين السلطان بركياروق وبين أخيه محمد على منصب السلطنة العظمى · ويصور ابن الاثير هذه الحالة ٤٩٧ ـ ١١٠٣م بقوله (واتفق ·· أشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا ، فتفرقت حينئذ بالمسلمين الاراء ، واختلفت الاهواء ، وتمزقت الاحوال) (٩٦) · ولم يكن الصراع والتطاحن بين الفرع السلجوقى بالشام ـ سنتئذ ـ أقل منه بين السلاجقة بالعراق وبلاد الجزيرة وديار بكر ، ففى تلك السنة كان دقاق أمير دمشق وأخوه رضوان ملك حلب يقتتلان على تملك حمص ونواحيها ·

ومن الطبيعى أن يجتهد العدو الصليبى في استغلال الصراع والتطاحن بين المسلمين في العراق والشام بغية التمكين لنفسه ، خاصة وقد أسترد بوهيمند الصليبى ، امير أنطاكية ، حريته بعد أن أطلق ابن الدانشمند سراحه ، في نفس السنة ٤٩٧ ـ ١١٠٣م · واستأنف بوهيمند نشاطه فاتصل باخوانه في امارة الرها واستقر الرأى على أن يقوم الصليبيون ـ في امارتى أنطاكية والرها ـ بمشروع يهدف الى تطويق رضوان ملك حلب وعزله عن بقية المسلمين تمهيدا للاستيلاء على حلب نفسها ، ثم مد النفوذ الصليبى شرقا نحو بلاد الجزيرة والموصل ، يريدون بذلك تقطيع أوصال المسلمين بالعراق والشام وآسيا الصغرى ، ومن ثم يمكنهم ضرب بغداد قلب العالم الاسلامى السنى · (٩٨) وتمكن الصليبيون فعلا من الاستيلاء على بعض الحصون والنواحى التابعة لحلب في الشمال والشرق ، ومن ثم تطلعوا الى الاستيلاء على مدينة حران الاسلامية باعتبار أنها تمثل حجر الزاوية في مشروعهم (فهى على طريق الموصل والشام والروم) (٩٩) وتقع حران على الجانب الشرقى لنهر بالخ ـ أحد روافد الفرات ـ على بعد ٢٥ ميلا الى الجنوب الشرقى من مدينة الرها · وفي ربيع ٤٩٧ ـ ١١٠٤م التقت قوات أنطاكية الصليبية يقودها بوهيمند ومعه قريبه طنكريد ، بالقوات الصليبية في الرها يقودها اميرها بلدوين دى بورج ومعه قريب له يدعى جوسلين (١٠٠) · وتحركت القوات الصليبية بقيادة أمير الرها وأمير أنطاكية صوب حران تريد الاستيلاء عليها · وأدرك سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا وجكرمش أمير الموصل وبلاد الجزيرة ، ما يهدف اليه الصليبيون ، فدفنا أحقادهما وتنافسهما ، وتراسلا بغية الاتحاد والتحالف ، وأخبر كل منهما صاحبه (أنه قد وهب نفسه لله تعالى وثوابه)· (١٠١) وهذه أول مرة تذكر فيها مصادر البحث العربية تحالفا بين حكام من المسلمين لمواجهة التحدى الصليبى ، يرتفعون فيه فوق المصالح الشخصية ، ويبتغون من ورائه ثواب الله وحده ، ويعلنون أستعدادهم للاستشهاد في سبيل ذلك ·

وتحركت القوات الاسلامية المتحالفة لمواجهة الخطر الصليبى المحدق بمدينة حران ، فقد كان الصليبيون وصلوا اليها أوائل مايو ١١٠٤م · والجدير بالذكر أن القوات الاسلامية المتحالفة اشتملت ، لاول مرة ، على مقاتلين من الاكراد الى جانب اخوانهم في الاسلام من مقاتلى العرب والاتراك وهذه خطوة على طريق وحدة الشعوب الاسلامية في المشرق في حمل السلاح لمواجهة الخطر المشترك (١٠٢) · ووصلت القوات الاسلامية المتحالفة الى حران في الوقت المناسب ، وصلت عشية ليلة أرجأ العدوفيها تسلم المدينةحتى

الصباح ، وهذا في حد ذاته جدير بالاعتبار ، فقد رأينا القوات الاسلامية تصل ـ أول مجيء الصليبيين ـ لانقاذ مدينة مثل بيت المقدس بعد فوات الاوان (١٠٣) · واجبرت القوات الاسلامية المتحالفة الصليبيين على الابتعاد عن حران (واستدرجوهم في برية ·· وسدوا في طريقهم المنافذ ، ثم عطفوا عليهم فقتلوا من الفرنج الخلق العظيم ، ومات الباقون عطشا) على حد تعبير واحد من مؤرخي المسلمين المعاصرين لتلك الاحداث عرف عنه شدة الايجاز فيما يكتب (١٠٤) والقدرة على استدراج العدو الى حيث يمكن ابادته خبرة بدأ المسلمون يعاودون ممارستها وبنجاح · (١٠٥) ·

حدثت موقعة حران يوم ٧ مايو ١١٠٤م وفيها قضت القوات الاسلامية المتحالفة على القوات الصليبية التابعة لامارة الرها قضاء تاما ، ووقع بلدوين دى بورج أمير الرها وقريبه جوسلين في الاسر · والذى له صلة بالبحث من أخبار التحالف الاسلامى هذا ، وانتصاره يوم حران ، أن نزاعا دب بين أتباع كل من سقمان بن أرتق وجكرمش ساعة الانتصار ، على مصير الاسرى والاسلاب ـ وهذا من الامور المألوفة آنذاك سواء أكانت القوات المنتصرة من المسلمين أم من غيرهم ـ وكاد هذا النزاع أن يؤدى الى القتال بين القوات الاسلامية المتحالفة ، ولكن سقمان بن أرتق تمكن من اصلاح ذات البين قائلا لرجاله (لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ، ولا أوثر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين) (١٠٦) ·

وقد وضع سقمان بقوله هذه القضية الاسلامية في موضعها الصحيح : انها قضية المسلمين في مواجهة التحدى الصليبى ، وفي سبيلها تجب التضحية بالمصالح الشخصية ، وهذا ما فعله سقمان افاقة منه · وبعد أن تخطى سقمان الفتنة عاد الى بلاده ، واستغل جكرمش الانتصار في موقعة حران فاستولى على بعض النواحى التابعة لامارة الرها الصليبية ثم توجه لمحاصرة مدينة الرها نفسها ، وحاصرها ما يقرب من نصف شهر ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها لان بوهيمند وطنكريد كانا قد أسرعا في التوجه اليها واعداد العدة للدفاع عنها · (١٠٧) ·

وفي طليعة النتائج التي ترتبت على انتصار التحالف الاسلامى في موقعة حران هذه ، القضاء على المشروع الصليبى الذى كان يهدف الى تمزيق الاتصال بين المسلمين في الشام والعراق واسيا الصغرى . فقد تحول العدو ـ بعد يوم حران ـ من سياسة الهجوم الى الدفاع وذلك بعد أن تحتم على الصليبيين في امارة أنطاكية تحمل أعباء المحافظة على امارة الرها التى خسرت فرسانها ووقع أميرها في الاسر · وكذلك نجت حلب الاسلامية من أخطار تطويق الصليبيين لها ، بل أن ملكها السلجوقى رضوان تشجع ساعة هزيمة الصليبيين في حران ، فاسترد معظم الحصون والنواحى التى كان العدو قد استولى عليها شمال حلب وشرقها ، كما أغارت قواته على بعض الحصون والاماكن ما بين حلب غربا حتى قرب مدينة أنطاكية نفسها (١٠٨) · ونتيجة لهذا وذاك وجد بوهيمند نفسه مضطرا ـ بعد موقعة حران ببضعة أشهر ـ الى مغادرة أنطاكية والتوجه الى أوربا ليحشد مقاتلين جددا من حملة الصليب (١٠٩) ·

وفي خريف ١١٠٤م غادر بوهيمند أنطاكية الى أوربا ، بعد أن عهد الى قريبه طنكريد بالدفاع عن الصليبيين في امارتى أنطاكية والرها معا ، وهكذا أفلح تحالف سقمان بن أرتق وجكرمش ، وانتصار المسلمين يوم حران في القضاء على ما أراده العدو ، بل أن هذا التحالف وذلك الانتصار زعزعا كيان الصليبيين في أنطاكية والرها

فعا من معنوية المسلمين وأعادا اليهم الثقة بانفسهم ـ ولو الى حين ـ وقد عبر ابن لانس عن ذلك بقوله (وكان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله ، وبـــه ضعفـــت س الافرنج وقلت عدتهم ، وقلت شوكتهم وشكتهم ، وقويت نفوس المسلمين وتباشر س بالنصر) (١١٠) يقصد نصر المسلمين يوم حران ٠

وتناولنا للتحالف الاسلامي بين سقمان بن أرتق وبين جكرمش ، وانتصار المسلمين مرحران اقتصر ـ جهد الطاقة ـ على ما يمكن اعتباره مقدمة لافاقة المسلمين نحـــو طر الصليبي ، وايذانا بتلك الافاقة ، أما ما عدا ذلك من أحداث هذا التحالـــف تباطه بالتاريخ العام للصليبيين في امارتي أنطاكية والرها انذاك ، وأخبار موقعة ان ، وأعداد القوات التي اشتركت فيها من الجانبين ، وتقسيم تلـــك القوات أثناء تال ، وخطط كل من المسلمين والصليبيين ، والكمائن وعمليات الكر والفر والخسائر ي تكبدها العدو ، كل ذلك تناولته مصادر البحث بالتفصيل والتمحيص (١١١) ٠

ويمكن القول انه كان من نتائج تحالف سقمان مع جكرمش ، وانتصارهما فـــي عة حران ، أن طغتكين أتابك دمشق شعر بما يمكن أن نعتبره مقدمة للافاقة نحـــو طر الصليبي وايذانا بتلك الافاقة ، ذلك أنه بعد انتصار الحلفاء من المسلمين يوم ان بشهر ، وتوفي دقاق السلجوقي أمير دمشق ، وتولى طغتكين منصب الاتابكيـــة ا (١١٢) ـ واتفق أن مرض طغتكين ـ بعد ذلك مباشرة ـ مرضا خيف منه علـــى ته ، فكتب الى سقمان بن أرتق يستدعيه من ديار بكر (ليوصي اليه ويعتمد فـــي اية دمشق عليه) (١١٣) واتخاذ طغتكين لقراره هذا ، يعتبر في حد ذاته مقدمة للافاقة ذانا بها ، فطغتكين أول من يعلم ما في قرارة هذا من خطورة على مكانته الشخصية ، نه يخاطر بمستقبله في سبيل المصلحة العامة للمسلمين دليل على انه بدأ يفتـــح به على طبيعة الخطر الصليبي ٠ ان طغتكين يفضل أن تبقى دمشق اسلامية حتى ولو حكمها الى غيره من المسلمين ، على أن يستولي عليها الصليبيون أو أن يبقى هو في ها تحت رحمتهم (١١٤) ومهما يكن من أمر فان سقمان بن أرتق أسرع في الاستجابة ما طلبه طغتكين ، ولما اقترب من دمشق أشتد عليه ـ هو أيضا ـ مرض كان يلازمه٠ ار أصحاب سقمان عليه بالرجوع الى حصن كيفا ، عندما ازدادت شدة المرض ولكنه بهم (بل أسير فان عوفيت أتممت ما عزمت عليه ٠ ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال ار خوفا من الموت ، وان أدركني أجلي كنت شهيدا سائرا في جهاد) ٠ (١١٥) وشاء أن يلقاه سقمان شهيدا سائرا في جهاد ، فقد أدركته المنية وهو على مشارف دمشق لمحرم ٤٩٨هـ (اكتوبر ١١٠٤م) ٠

وبعد فان الامة الاسلامية واجهت ـ في الصليبيين منذ مجيئهم الى المشرق ٤٩٠ ١٠٩٧م ـ تحديا شرسا وضاريا ، وصبرت ، وصابرت ورابطت في مواجهته حتـــى ت في قلع جذوره وتطهير الارض الاسلامية منه ، وذلك بعد مائتي عام ٠ ومرت ة الاسلامية في مواجهتها للتحدى الصليبي بمراحل أولها ٠ ما يمكن اعتباره : ارهاصات مقدمات تؤذن بالافاقة ، وهذه المرحلة هي التي ذكرنا مشاهد أو مواقف منها في البحث ٠ وأمتنا الاسلامية تواجه الان تحديا لا يقل في شراسته وضراوته عـــن دى الصليبي ، ونعني بذلك التحدى الصهيوني والله أسأل أن تكون امتنا قد مرت حلة الارهاصات وبدأت مرحلة الافاقة الحقة ٠

واللـــــه ولـــي التوفيـــق

تعليقـــــات وحـــواش

١) انظر حاشية رقم (٢٩)

٢ ـ كانت الرها ، عند قدوم الحملة الصليبية المعروفة بالاولى ، خاضعة لحاكم ارمني اسمه ثوروس ، واعتقد ثوروس ، ونظراؤه من امراء الارمن المتغلبين على بعض المدن والحصون في بـــلاد الجـــزيرة ومرتفعات طوروس ، ان الصليبيين نجدة بعثتها لهم السماء · ولما كان ثوروس يتعرض لتهديدات من جيرانه المسلمين ، فانه بعث الى امراء الحملة الصليبية ـ وهي في طريقها عبر اسيا الصغرى الـــى الشام ـ يطلب [1]ليون لدفع خطر جيرانه المسلمين · وانتهز احد اولئك الامراء وهو بلدوين دى بويون الفرصة فانفصل في بعض اتباعه عن اخوانه ، وخف الى الرها وفي نيته التمكين لنفسه واقامة امارة ان امكنته الفرصة · وفي الطريق تمكن بلدوين وصحبه فعلا من انتزاع بعض المدن والحصون من حكامها المسلمين · ووصل الى الرها فاستقبله اهلها من الارمن استقبال المخلصين ، ورحب به اميرها واتخذه ابنا · واشتركت قوات بلدوين الصليبية مع قوات امير الرها الارمنية في بعض العمليات الحربية بغية الاستيلاء على مدينة مسميساط ، ولكنها فشلت في تحقيق هذه المهمة · وتبادل الطرفان التهم والقى كل منهما اللوم على الطرف الاخر · وهنا افصح بلدوين عن نواياه فقتل ثوروس وتولى هو حكم مدينة الرها في مارس ١٠٩٨م (ربيع ثاني ٤٩١هـ) · وهكذا قامت نواة اول امارة صليبية في الشرق الاسلامي ولم يتمكن بقية الصليبيين بعد ، من الاستيلاء على انطاكية ·

واجتهد بلدوين في توسيع املاكه حول مدينة الرها وتحويلها الى امارة اصبحت بمرور الزمـــن اسفينا في قلب العالم الاسلامي يفصل ما بين اجزائه في العراق وما يليه شرقا وبين اجزائه فـــي الجزيرة وبلاد الشام والاناضول · انظر التفاصيل في Matthieu d, Ed. pp
Barker; p. 17, Michaud, T. I. pp. 62 — 3
Chalandon : 1er Croisade . pp. 172 — 174.
Anonymous Syr, p. 70. 71, 30, 36, 37

وفيما يتعلق بالرها وموقعها واهميتها والمناطق التابعة لها ، انظر القلقشندى ٤ـ١٣٨ وابـــن الشحنة (ص ٢٠١) ومعجم البلدان ٤ ـ ٢٤٠ ·

وفيما يتعلق بمدينة مسميساط ، يقول ابن الشحنة (ص ١٩٨) (مدينة صغيرة على شاطىء الفرات من غربية ، في طرف الروم شرقي جبل اللكام ، ولها قلعة حصينة في شق منها ،تسكنها الارمـــن)·

وانظر ايضا ابن النديم : بغية الطلب (ص ٣٠٤) وبين مسميساط وملطية ١٦ فرسخا ·

٣ ـ امارة انطاكية الصليبية : انطاكية ميناء على ساحل الشام غربي حلب ، وكانت ثغرا من ثغـــور المسلمين الهامة عندما امتد اليها النفوذ الاسلامي ، اواخر خلافة عمر رضى الله عنه (١٣ ـ ٢٣) = ٦٣٤ ـ ٦٤٤م · ولما استقر النفوذ الاسلامي في بلاد الشام ، وامتد الى ما وراء مرتفعـــات طوروس ،

غدت انطاكية عاصمة من اهم العواصم الاسلامية ، فيها قوات تعصم ما حولها من خطر العدو · وظلت انطاكية في ايدى المسلمين حتى استولى عليها الروم ٣٥٨ـ٩٦٩م ثم استرد سليمان بن قطامش ـ زعيم السلاجقة بالروم ـ دوقية انطاكية · وظلت انطاكية والنواحى التابعة لها في ايدى المسلمين حتى قدمت الحملة الصليبية المعروفة بالاولى ، وحاصرتها صيف ٤٩١ـ١٠٩٨م وتمكن احد زعماء الصليبيين واسمه بوهيمند النورمانى من الاستيلاء على مدينة انطاكية ، في يونيو من تلك السنة ، بفضل خيانة سكانها من الارمن ، وصمدت قلعة انطاكية والحامية الاسلامية فيها · وبعث السلطان السلجوقى بركياروق (٤٨٥ ـ ٤٩٨ = ١٠٩٢ ـ ١١٠٥م) جيشا كثيفا يقوده واحد من كبار قادته ، اسمه كربوغا لانقاذ انطاكية ·

وامر السلطان بركياروق ملوك المسلمين وامراءهم في الشام ، وبلاد الجزيرة بالانضمام الى كربوغا ، وفعلا انضم اليه رضوان ملك حلب ، واخوه دقاق امير الشام ـ وهما يمثلان الفرع السلجوقى بالشام ـ فضلا عن عدد من امراء السلاجقة والمسلمين · وحاصرت القوات الاسلامية المتحالفة مدينة انطاكية ، ولكن كان ينقص هذه القوات الاسلامية وحدة الهدف ، ووضوح الرؤية وادراك ان الخطر مشترك ، ولهذا تمكن الصليبيون من اختراق الحصار المضروب عليهم ، والخروج من مدينة انطاكية حيث خاضوا معركة انتصروا فيها على كربوغا وحلفائه من المسلمين في يونيو سنة ١٠٩٨ · وعبر المؤرخون من المسلمين عن عدم افاقة اخوانهم للخطر الصليبى تعبيرا واضحا فقال المظيمى (ص٣٧٣): وخرج اليهم الفرنج وهم في الغاية من الضعف والمسلمون في القوة ، فانكسر المسلمون لسوء نياتهم · ويزيد ابن الاثير (الكامل ١٠ـ١٥) هذه الحقيقة وضوحا فيقول : (وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب احد منهم بسيف ، ولا طعن برمح ، ولا رمى بسهم) وانظر ايضا ابن القلانس (ص ١٣٦) وكمال الدين ابن النديم (منتخبات ص ٥٥٣) ·

واجتهد بوهيمند النورمانى في توسيع امارته الناشئة بانطاكية · وفي اقل من عامين تمكن من الاستيلاء على عدد من الحصون والاماكن التابعة لانطاكية في حوض نهر العاصى الادنى ، وعلى الساحل وذلك بفضل مساعدة اساطيل جمهوريات مدن ايطاليا التجارية : جنوه ، البندقية ، وبيزا · وتطلع بوهيمند الى اقتطاع بعض النواحى التابعة لرضوان ملك حلب ، شرقى نهر العاصى ، ونجح في ذلك· واغراه هذا النجاح بالزحف ، صيف سنة ١١٠٠ لمحاصرة حلب نفسها (انظر ابن النديم : منتخبات ص ٥٨٨ ـ ٩) · وهكذا غدت امارة انطاكية الصليبية الناشئة ، حقيقة واقعة ، وغدا اميرها بوهيمند مصدر خطر على جيرانه المسلمين ·

فيما يتعلق بمدينة انطاكية وموقعها وسورها وقلعتها انظر القلقشندى ٤ ـ ١٢٩ ·

٤ ـ مملكة بيت المقدس

اطلقت هذه التسمية ـ ايام الحركة الصليبية ـ على الاملاك الصليبية في فلسطين · وكانت مدينة بيت المقدس وفلسطين كلها من املاك الدولة الفاطمية حتى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ـ٤٨٧هـ = ١٠٣٥ـ١٠٩٤م)، وفي خلافته امتد الخطر السلجوقى الى بلاد الشام ووصل الى فلسطين · واقطع السلاجقة واحدا من كبار قادتهم ومقدميهم ويدعى أرتق بن اكسك مدينة بيت المقدس · ولما وصلت الحملة الصليبية المعروفة بالاولى الى بلاد الشام اوائل ١٠٩٨ واستولت على انطاكية صيف ذلك العام سارع الفاطميون فاستردوا مدينة بيت المقدس من حكامها الاراتقة · وفي صيف ١٠٩٩ حاصر الصليبيون

مدينة بيت المقدس وصمدت حاميتها الفاطمية ، وحاول الفاطميون ارسال حملة لانقاذها ولكن المدو تمكن من الاسراع في الاستيلاء عليها وذلك في شهر يونيو ·

وتمكن الصليبيون في اقل من عام (يوليو ١٠٩٩ الى يوليو ١١٠٠) من مد نفوذهم على كثير من الاجزاء الداخلية في فلسطين وذلك برياسة واحد من زعمائهم هو جودفرى دى بويون ففي سنة رياستـــه هذه تمكن هو ونظراؤه من قادة الصليبية من الاستيلاء على الرملة واللد وعلى بيت لحم ونابلس ومدن الجنيل امثال طبريه وبيسان وغيرها ، وتمكن الصليبيون سنتئذ بفضل مساندة اساطيل جمهوريـات ايطاليا التجارية ، جنوة والبندقية وبيزا ، من الاستيلاء على مينائى يافا وحيفا وكانتا مـــن املاك الفاطميين ولجات الحاميات الفاطمية في كل من : ارسوف وقيسارية وعكا وعسقلان ـ وكلها ايضا مـن املاك الفاطميين ـ الى مداراة المدو بدفع جزية سنوية املا في ان تفيق مصر الفاطمية وغيرها من بلاد الاسلام وتوفى جودفرى في يوليو ١١٠٠ فخلفه في رياسة الصليبيين بفلسطين اخ له يدعى بلدوين · وبلدوين دى بويون هذا هو الذى اسس امارة الرها الصليبية قبل ذلك بسنتين وظل اميرها حتـــى توفى اخوه فاستدعاه الصليبيون في بيت المقدس ونصبوه ملكا عليهم · (١١٠٠ الى ١١١٨) باســم بلدوين الاول · ومن ثم غلبت تسمية مملكة بيت المقدس على الاملاك الصليبية في فلسطين ·

انظر : ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج٢ ص ٨ Defremery ; B ; PP. 87, 88.

٥ ـ المقصود (بتسمية السلطنة السلجوقية العظمى) السلطنة التى اقامها طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق (٤٤٧ ـ ٤٥٥ = ١٠٥٥ ـ ١٠٦٣م) وضمت العراق وما يليه شرقا من اقاليم الخلافة العباسية ، وذلك عندما اعلن الخليفة القائم العباسى (٤٢٢ ـ ٤٦٧ = ١٠٣١ ـ ١٠٧٥م) طغرل بك هذا سلطانا في بغداد ، واتسع مدلول هذه التسمية على عهد خليفة طغرل بك وهو : السلطان الب ارسلان السلجوقى (٤٥٥ ـ ٤٦٥ = ١٠٦٣ ـ ١٠٧٢م) فاشتملت على الشام وارمينية وجورجيه وبلغت هذه السلطنة السلجوقية العظمى اقصى اتساعها على عهد ملك شاه بن الب ارسلان (٤٦٥ ـ ٤٨٥ = ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢م) فضمت ـ زيادة عما سبق ـ معظم اراضى الروم باسيا الصغرى ،والاناضول كما مدت نفوذها على الحجاز واليمن · وقد عبر ابن الاثير (الكامل ١٠ـ٧٨) عن مدى اتساع السلطنة السلجوقية العظمى على عهد ملك شاه بقوله (خطب له من حدود الصين الى آخر الشام ، ومن اقاصى بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن · وعبر سبط ابن الجوزى (المرآة ١٢ـ٢ ورقة ٢٠٤ ب) عن هذه الحقيقة بقوله ان السلطان ملك شاه (استقام له معظم الدنيا ، الا مصر والمغرب ،) هذا هو مدلول تسمية (السلطنة السلجوقية العظمى) في ذلك الوقت ·

ويعتبر بلوغ السلطنة السلجوقية العظمى ما بلغته من اتساع وقوة ، على عهد ملك شاه السبب المباشر لقيام الحركة الصليبية ، اذ المعروف عند من يدرسون تاريخ هذه الحركة ان الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨م) ارسل في ربيع ١٠٩٥م يطلب من البابا اربان الثانى نجدة تساعده في دفع الخطر السلجوقى · وانتهز البابا الفرصة فدعا اوربا الغربية ملوكا وامراء وشعوبا الى حمل الصليب لدفع الخطر الاسلامى · واستجابت اوربا الغربية لدعوة البابا للسبب الدينى ، ولاسباب اخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية ·

Buckler : P. 460 ; Vasiliev ; T. II. P. 33 ; :
Fliche ; L. Europe ... PP. 602. 58 La chretiente ; P. 12 ;
Heyd ; V. I. PP. 131 — 3 — , Oman ; V. I, P. 232., Lacroix; P. 114.

٦) كان السلطان طغر بك السلجوقي (٤٤٧ ـ ٤٥٥ = ١٠٥٥ ـ ١٠٦٣م) قد اعلن غداة اعتراف الخليفة القائم العباسي (٤٢٢ ـ ٤٦٧ = ١٠٣١ ـ ١٠٧٥م) به سلطانا في بغداد ، اعلن عزمه على توحيد العالم الاسلامي ، وذلك بالقضاء على الخلافة الفاطمية في مصر · وحاول الخليفة الفاطمي المستنصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧ = ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م) ـ بدوره ـ القضاء على سلطنة طغر بك والخلافة العباسية ، وبالرغم من ان المحاولة الفاطمية افلحت في اقامة الخطبة ببغداد ، وغيرها من مدن العراق ، للخليفة الفاطمي المستنصر ما يقرب من سنة ، بعد قيام سلطنة طغرل بك مباشرة الا انها احبطت ·

واجتهد السلطان الب ارسلان السلجوقي (٤٥٥ ـ ٤٦٥ = ١٠٦٣ ـ ١٠٧٢م) في تحقيق ما اراد سلفه ، ونعني بذلك محاولة توحيد العالم الاسلامي وذلك بالقضاء على الخلافة الفاطمية · ونجح السلاجقة ، على عهد الب ارسلان ، في انتزاع ما للفاطميين من املاك في سوريا الجنوبية ، فاستولوا على دمشق ونواحيها ، كما استولوا على مدينة بيت المقدس ، واعمالها ، ولم يبق للفاطميين سوى السيطرة على الشريط الساحلي بما فيه من موانيء مثل : صور وصيدا وعكا وحيفا وقيسارية وعسقلان· وكانت السيادة الفاطمية على هذا الشريط الساحلي متمثلة في حاميات تعسكر في الموانيء المذكورة ، وتاتيها الميرة والامدادات من مصر عن طريق البحر ·

وبلغ من تهديد السلاجقة على عهد الب ارسلان للفاطميين ان واحدا من مخاطريهم اقترب باتباعه مهددا القاهرة نفسها · وكان لذلك كله اثره في المحنة التي اشتهرت في التاريخ الفاطمي بـ (الشدة المستنصرية) التي بلغت ذروتها (٤٥٥ ـ ٤٦٥ = ١٠٦٣ ـ ١٠٧٢م) وفي تلك الشدة انمرط عقد الامن في مصر ، نظرا للصراع بين طوائف الجند الفاطمي ، من اتراك ومغاربة وعرب وسودان ، وسواهم من المرتزقة وخاصة الارمن · وسيطرت كل طائفة على ناحية من نواحي القطر ، وانعدم الاهتمام بوسائل الري فتوالى القحط وعمت المجاعات وتتابعت ، ووصلت سلطة الخليفة الى الحضيض · والجدير بالملاحظة ان السنوات التي بلغت فيها الشدة المستنصرية ذروتها هي نفس السنوات التي تسلطن فيها الب ارسلان السلجوقي ، مما يؤكد وجود علاقة بين هذه الشدة وبين جهود السلاجقة لهدم الفاطميين ·

واخذت الشدة المستنصرية في الزوال تدريجيا ، عندما عهد الخليفة المستنصر بالوزارة الى بدر الجمالي (٤٦٥ ـ ٤٨٧ = ١٠٧٣ ـ ١٠٩٤م) ومن ثم بدأ عهد الوزراء العظام فيتاريخ الدولة الفاطمية، وهو العهد الذي جمع الوزراء ـ اثناءه ـ السلطة في ايديهم وسيطروا الى حد كبير على مصير الخلفاء الفاطميين · وقد تركت الشدة المستنصرية انطباعاتها على قوة مصر الفاطمية حتى بداية الحركة الصليبية ، كما كان لها اثرها على موقف الفاطميين من تلك الحركة اول قيامها ·

انظر التفاصيل في : ابن الاثير ٩ـ٢٥٤ ، ٢٦١، ابن الجوزي ٨ـ١٧٢ و ١٧٣ و ٩ـ٢٨٩ ، المؤيد في الدين ص ١٣٥ ، ابن ميسر ٢ـ٢٢ ـ ٢٥ ، ابن الصيرفي ص ٥٦، اليافعي ٤ـ٩٤ ·

٧) الفرع السلجوقي بالروم ، يقصد منه الدولة السلجوقية التي تفرعت من السلطة السلجوقية العظمى وهذه الدولة اصطلح على تسميتها بـ (السلطنة السلجوقية بالروم او (السلاجقة بالروم) وذلك لانها قامت على ارض اغريقية في الاناضول وآسيا الصغرى · واصل قيامها ان البيت السلجوقي ـ وهو يقيم سلطنته العظمى ـ عهد الى ابنائه مهمة المشاركة في اقامة تلك السلطنة · وعهد طغرل بك الى ابن عمه : قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق مهمة مد النفوذ السلجوقي على ارمينية وما قرب منها، وذلك حوالي ٤٤٠ـ١٠٤٨م واجتهد قطلمش فيفي تحقيق هذه المهمة ، وامتدت اعمال قواته الى نواح من

ارض الروم المجاورة الارمينية وخشي السلطان السلجوقي الاعظم . الب ارسلان من نفوذ قطلمش الآخذ في الازدياد ، وتطلع قطلمش الى منصب السلطنة السلجوقية العظمى ، فنشب قتال بينه وبين السلطان الب ارسلان انتهى بمقتل قطلمش ٤٥٦ـ١٠٦٤م · ووقع سليمان بن قطلمش في قبضة السلطان الب ارسلان فتحوط عليه وابقاه بعيدا عن المجال الذى كان يعمل فيه والده · وفي ٤٦٣ ـ ١٠٧١م اطلق السلطان الب ارسلان سراح سليمان وعهد اليه استئناف الجهود السلجوقية على حساب الروم · وافلح سليمان واتباعه من الغزاة في اقتطاع اجزاء كبيرة من بلاد الروم ، وبعد عشر سنوات تقريبا اعترف به الامبراطور الكسيوس حاكما على المناطق التى اقتطعها ·

وتطلع سليمان بن قطلمش الى منافسة ابناء عمومته من الفرع السلجوقي بالشام فلقى مصرعه ٤٧٩ـ١٠٨٦م ووقع ابنه فلج ارسلان أسيرا وتسلمه السلطان الاعظم ملك شاه ثم توفي ملك شاه ٤٨٥ـ١٠٩٢م وخلفه ابن السلطان بركياروق (٤٨٥ـ٤٩٨ = ١٠٩٢ـ١١٠٥م) فاطلق سراح فلج ارسلان واعاده الى بلاده · وفلج ارسلان هذا هو الذى كان يتزعم الفرع السلجوقى بالروم اول مجيء الصليبيين · انظر ابن القلانس ص ١٩٩ ·

البغدادى ٢ ـ ٣٢٠ ، Bar Hebraeus; P. 330.

٨) قامت امارة الدانشمند اثناء التوسع السلجوقي على حساب الروم · واستطاع اميرها ابن الدانشمند ان يقتطع لنفسه اقليم قبدوقية ، في الشمال الشرقي من الاناضول ، حيث نهر قزل ارمق ، وكانت قاعدة هذه الامارة مدينة سيواس · ومن الطبيعي ان يحاول الفرع السلجوقي بالروم فرض سيطرته على هذه الامارة · ومن الطبيعي ايضا ان يفضل امراء الدانشمند الاعتراف بسيادة السلطنة السلجوقية العظمى في اصفهان ـ نظرا لبعد مقر سلطانها ، ورحب سلاطين السلاجقة العظام ـ بدورهم ـ بذلك ابقاء على التوازن بين القوى السلجوقية التى من المفروض ان تكون تابعة لهم ، وانتهجت اسرة الدانشمند ـ منذ البداية ـ سياسة التسامح الدين مع رعاياها المسيحيين ، من الارمن والسوريان والبيزنطيين وغيرهم ، على اختلاف مذاهبهم حتى اعتقد بعض الارمن ان مؤسس هذه الاسرة ارمنى الاصل ـ وابن الدانشمند كان ثانى اثنين من حكام السلاجقة المسلمين بالروم اول مجيء الصليبيين ·

انظر التفاصيل في Macler; P. 1, 7 , Vahram ; PP. 26 — 8
Matthieu d. Edesse, P. 51, N. 3, Michel Le Syrien; T. III. P. 173,
Wittek; P. 20.

وعن سيواس قاعدة امارة الدانشمند يقول القلقشندى ٥ـ٣٤٩ و ٣٥٠ أن (سيواس من امهات البلاد ، مشهورة على السنة التجار . وهى في بسيط من الارض ··· وهى بلدة كبيرة مسورة ، وبها قلعة صغيرة ذات اعين ، والشجر بها قليل ، ونهرها الكبير بعيد منها بمقدار نصف فرسخ ، ويقول المسافرون ان فيها اربعا وعشرين خانا للسبيل ، وهى شديدة البرد وبينها وبين قيسارية ستون ميلا ·

٩) انظر تفاصيل الصراع بين السلطان الطفل محمود بن ملك شاه وبين اخيه بركياروق على منصب السلطنة في : البندارى ص ٧٦ز الحسينى ص ٧٤ـ٧٥ ، ابن الجوزى ٩ـ٦٢ ، ابن الاثير ١٠ ـ ٨٨ ، ٩٣ ، Brown; P. 36 & Defre mery : Recherches ..
PP. 240 — 1, 275 — 6.

١٠) ابن الجوزى ٩ـ٣٤

١١) الحشاشون ، هم فرقة او طائفة من فرق الشيعة الغالية في التطرف ، والتى ترى في الاغتيال افضل وسيلة للتخلص من معارضيها . ومن ابرز دعاتهم في عهد السلاجقة : احمد بن عبد الملك عطاش الذى استطاع ان يستولى على قلعة كان قد بناها السلطان ملك شاه خارج عاصمة سلطنة اصفهان . ومن هذه القلعة بث احمد هذا واعوانه الرعب بين سكان عاصمة السلاجقة . ومنهم ايضا الحسن بن صباح الذى استولى بدوره على قلعة (الموت) الشهيرة في اقليم قزوين ، ومن هذه القلعة بث هو واعوانه الرعب في الجهات المجاورة . وقد انضم الى هؤلاء الدعاة كل ناقم على الخلافة العباسية او حاقد على السلطنة السلجوقية ، حامية حمى اهل السنة . واجتهدت هذه الطائفة في تخريب السلطنة السلجوقية من الداخل ، وذلك في وقت كان الصليبيون فيه على وشك المجيء الى الشرق لاول مرة . وكان دعاة هذه الطائفة يعملون بتوجيه من الخلافة الفاطمية في مصر في صراعها ـ صراع الحياة او الموت ـ مع الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية السنية . انظر ابن الاثير ١٠ـ١٣١ ـ ٤ وابن الجوزى ٩ـ١٠٣ و ١٢٢ والبنداري ص ٦٢

١٢) الكامل في التاريخ ١٠ـ١٥٤ .

١٣) انظر محاولة السلطان بركياروق دفع خطر الصليبيين عن انطاكية عندما ارسل عسكرا يقوده كربوغا وذلك في التعليق رقم (٣)

١٤) وردت اخبار حملة تنقور فوكاس على سوريا الشمالية ، واستيلاء البيزنطيين على انطاكية ، والمعاهدة التى عقدوها مع الحمدانيين امراء حلب ، والتى تناولت الحدود بين دوقية انطاكية البيزنطية وامارة الحمدانيين في حلب ، وردت بالتفصل في ابن العديم : زبدة الحلب ١ـ١٤٤ ، ١٥٨ـ١٦٧ .

١٥) المقريزى ٣ـ١٠ وانظر ايضا ابو شجاع ص ١٨٥ .

١٦) فيما يتعلق بموقف الحاكم بامر الله من المسيحيين في بيت المقدس وهدمه لكنيسة القيامة انظر : ابن خلكان ٢ـ١٢٦ ، ١٢٧ ، السيوطى ص ٤٤٧ .

William of Tyre, T. I. PP. 15 — 16
Brehier : L. Eglise ... PP 36 — 37
Vasiliev : T, 1. P. 412

١٧) وردت تفاصيل علاقات الفاطميين بالروم على عهد الخليفتين الظاهر والمستنصر ، ومعاهدات الود والصداقة بين الجانبين ، والعرض على تجديدها من حين لآخر ، وردت بالتفصيل في : ابن اياس ١ـ٥٨ ، ابن الاثير ٩ـ١٩١ ، ٢٢٥ ، العينى ٥ـ٨٥ ، الذهبى ٢٣ـ٣٣ ، ٣٤ .

١٨) انظر التعليق رقم (٦)

١٩) انظر Runciman : 1 st Crusade, P. 230, N. 1

٢٠) William of Tyre: T. 1. P. 191.

(٢١ Grousset: T. 1. P. 83
Runciman : 1 st Crusade : P. 229

٢٢) انظر التعليق رقم (٣)

٢٣) ذهب ضحية هذا الوباء كثير من الصليبيين وفرسانهم ، ومن ابرز ضحاياه ادمير اسقف بيوى ـ ممثل البابا في رياسة الحملة الصليبية · انظر التفاصيل في :

William of Tyre: T. 1. PP. 285 — 7

٢٤) انظر التعليق رقم (٦)

٢٥) كانت العلاقة بين رضوان السلجوقي ملك حلب ، وبين اخيه دقاق امير دمشق عدائية ، يسودها التوجس والخيفة ، شأنهما في ذلك شان بقية ملوك السلاجقة وامرائهم آنذاك ، وادرك الصليبيون طبيعة العلاقة بين الاخوين فسعوا الى استغلالها وطلبوا من امير دمشق الوقوف على الحياد واعلنوا انهم لا مطمع لهم في املاكه ، واوهموه ان عداءهم قاصر على اخيه ملك حلب وانهم انما استولوا على انطاكية لانها كانت حتى عهد قريب تابعة لبيزنطية · وكان بالشام ايضا بنومنقذ ـ وهم عرب ـ ولهم امارة قاعدتها شيرز · وكذلك كانت توجد امارة على الساحل قاعدتها طرابلس ، ويحكمهـــا القاضي ابن عمار · وكانت العلاقة بين هاتين الامارتين العربيتين وبين الفرع السلجوقي بالشـــام عدائية ، ورأوا في مجيء الصليبيين قوة جديدة قد تحدث توازنا في القوى بالشام ·

انظر تفاصيل ذلك في ابن الاثير ١٠ـ١١٥ ، ابن الشحنة ص ١٨٦ ،

Lamb : PP. 186 — 7 & Runciman : Vol. 1. PP. 267 — 9.

٢٦) فيما يتعلق بالراى القائل بالزحف نحو القاهرة للقضاء على الفاطميين

أولا : انظـــر Runciman : Vol. 1. P. 277
Grousset : T. 1. P. 151

وفيما يتعلق باستماتة الحامية الفاطمية والمسلمين سكان مدينة بيت المقدس في الدفاع عنهـــا انظر ابن الاثير ١٠ـ١١٧ ، ابو المحاسن ٥ـ١٤٨ ·

٢٧) وردت اخبار المذبحة التي ارتكبها الصليبيون عند استيلائهم على مدينة بيت المقدس ، وكذلك اخبار المهاجرين اللاجئين من المسلمين ، وردت مفصلة في : ابن القلانس ص ١٣٧ ، ابن الجوزي ٩ـ١٠٨ وشذور العقود ص ١٥٥ ، ابن الاثير ١٠ـ١١٧ ، ابن اياس ١ـ٦٢ ، ابن ظافر ١٥٦ (ب) ·

٢٨) ابن ظافر ورقة ٧٤ (ب)

٢٩) جاء في لسان العرب ٧ـ٤٤ (والارهاص : الاثبات ، واستعمله ابو حنيفة في المطر فقال : واما الفرخ المقد فان نواه من الانواء المشهورة المذكورة المعمودة النافعة لانه ارهاص للموسمي · قال ابن سيدة : وعندي انه يريد مقدمة له وايذان به) ·

وفي ١٠ـ٣١٨ (تقول : افاق يفيق افاقة وفواقا ، وكل مغشي عليه أو سكران ممتوه اذا انجلى ذلك عنه قيل : لقد افاق واستفاق ... وافاق العليل افاقة واستفاق : نقه ، والاسم الفـــواق ، وكذلك السكران اذا صحا ...)

٣٠) انظر ابن العديم : زبدة الحلب ٢ـ١٤٤

٣١) كانت ملطية ، منذ ان دخلت في حوزة الاسلام اواخر خلافة عمر رضي الله عنه ، تعتبر مـــن امهات الثغور الجزرية ، ومن اقربها الى بلاد الروم ، ومن اشدها نكاية للكفار . وبذل الروم اكثر من محاولة لاستردادها ، وخربوها مرارا ، وافلح المسلمون في استعادتها وبنائها من جديد ، وشحنها بالمرابطين والمقاتلين حتى ٣٢٢هـ ـ ٩٣٤م عندما استردها الروم . ومعظم سكانها ، وما حولها ، مـن الارمن وغيرهم من المسيحيين الشرقيين .

فما يتعلق بملطية واهميتها كثغر من ثغور المسلمين ، انظر : البلاذرى ص ٢٢١ ، اليعقوبي : البلدان ص ٣٦٢ ، الاصطخرى ص ٤٦ ، ابن الشحنة ص ١٩٥ ـ ٦ .

٣٢) الكامل في التاريخ ١٠ـ١٢٤ ، انظر ايضا سبط ابن الجوزى : منتخبات ص ٥٢٢ .

٣٣) كانت مرعش من الثغور الاسلامية المواجهة للروم ، وحرص المسلمون على الاحتفاظ بها وتجديد بنائها كلما اغار عليها العدو وخربها . وكان بوسطها حصن يعد من امنع الحصون ، وهي قريبة من درب الحدث المشهور في العمليات الحربية والغزوات بين المسلمين والروم . وظل المسلمون محتفظين بها حتى خربها الروم ٣٣٧هـ واعاد بناءها سيف الدولة الحمداني ٣٤١هـ ، ثم عاد الروم فاستولوا عليها بعد ذلك بسنوات قلائل . وللاستزادة انظر : البلاذرى ص ٢٢٤ ، ابن الشحنة ص ٨ـ٢٥ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، وكذلك ابن العديم بغية الطلب ص ٢٨٥ ـ ٧ .

٣٤) يعتبره متى الرهاوى ص ٥٠ اميرا لامراء الارمن . وكان ثاتول يحكم مرعش من قبل الامبراطور البيزنطي منذ ١٠٩٧م .

٣٥) ابن العديم : زبدة الحلب ٢ـ١٤٥

٣٦) ابن القلانس ص ١٣٨ .

٣٧) يذكر Barhebraeus : PP. 23 — 7 ان امراء الارمن المتغلبيـــن على بعض الحصون والمواقع في مرتفعات طوروس كانوا يتوجسون خيفة من بوهيمند واطماعه ، وانهم اتصلوا فعلا بابن الدانشمند واطلعوه على تحركات بوهيمند، كما يذكر ان جبريل الارمنـــي حاكم ملطيـــة بدا يخشى مغبة استعانته بالامير الصليبي ، بعد ان وضحت اطماع ذلك الامير بالنسبة لصاحب مرعش الارمني ، فاخذ يماطل ويعمل على تعويق وصول بوهيمند حتى يتمكن ابن الدانشمند من الايقاع به . ولا يستبعد Micheile Syr. , T. III — P — 188. ان يكون المسيحيون اتباع مذهـــب القسطنطينية قد اتصلوا بدورهم بابن الدانشمند للغرض نفسه ادراكا منهم لخطورة اطماع بوهيمند ضد الدولة البيزنطية . انظر : Grousset : T. I. P. 379, N. 3, 4.

٣٨) وردت اخبار هذه الحملة بالتفصيل في William of Tyre : T. I. PP 416 — 418
Chalandon : Essai ..., PP. 225 — 227 , Runciman , Vol II : PP. 18 — 21.
Matthieu d, Edesse : PP. 56 — 58, Grousset : Hist, de Crois T. I 322—328
Michaud : Hist. des Crois, T. I. PP. 130, 131, Lamb: PP, 241 — 243
Oman ; vol I PP. 240 — 241

٣٩) Chalandon : Eddai ..., P. 227 , Stevenson: Crusaders P. 75

٤٠) فيما يتعلق بالطرق في آسيا الصغرى انظر : Runciman 1 st, Crois PP 183 — 185 & 190.

٤١) Runciman , vol II. P. 21.

٤٢) Michaud: T. I, P. 130, Oman , vol. I: P, 241

٤٣) Runciman, vol, II, P. 24

٤٤) Oman, vol I, P. 241

٤٥) يقول القلقشندى ٥ـ٣٥٤ (انكورية بلد لها قلعـــة على تل عال وهـــى بيـن الجبال وليس بها بساتين ولا ماء ، وشرب اهلها من الابار ، وهى عن قسطمونية في جهة الغرب على خمسة أيام.

٤٦) من قونية يقول القلقشندى ٥ـ٣٥٢ وهى مدينة مشهورة ، وبها دار للسلطنة والجبال محيطة بها من كل جانب ، وتبعد عنها من جهة الشمال وينزل من الجبل الجنوبى منها نهر يدخل اليها مـــن قريبها ... وهى ثانية قاعدة مملكة السلجوقية ببلاد الروم .

٤٧) تفاصيل حملة كونت نافار في : Oman, vol I, PP. 241 — 242
Runciman : vol II; PP. 25 — 27, Matthieu d' Ed. P 58,
Michaud : T. I, PP. 131 — 132, Grousset; T. I, PP. 329 — 330,
Lamb; P. 243, Chalandon: Essai ..., P 288

٤٨) Grousset, T. I, P. 330

٤٩) Grousset, T. I P. 331, Schlumberger: Recits .. P. 61,
Chalandon: Essoi .. Alexis P. 229.

٥٠) تفاصيل هذه الحملة فى Runciman ; vol II , PP. 27 — 29
Schlumberger; PP. 59 — 63, Oman, vol I, PP. 242 — 243.
Chalandon: Essai .. PP. 228 — 229, Michaudi; T. I PP. 132 — 133.
Grousset , T. I PP. 330 — 332

٥١) الكامل في التاريخ ١٠ـ١٢٤ ويؤكد ابن الجوزى ٩ـ١١٤ ذلك قائلا (خرج الافرنج ٣٠٠ر٠٠٠ فهزمهم المسلمون وقتلوهم فلم يسلم منهم سوى ٣ر٠٠٠ هربوا ليلا وباقى الفل هربوا مجروحين وقد ذكر اليافى ٣ـ١٥٥ نفس العدد الكلى وعدد الناجين ٠

٥٢) Matthieu d' Ed. P. 58.

٥٣) انظر Matthieu d' Edesse; PP. 56, 59, Lamb, PP. 281 — 3

٥٤) William of tyre; T. I. P 417

Laurent, P. 7

٥٥) Grousset, T. I. P. 333.

٥٦) انظر التعليق رقم ٣

٥٧) المقريزى ٢ـ٣١٠

٥٨) الكامل في التاريخ ١٠ـ١١٨

٥٩) William of Tyre; T. I. PP. 377 — 382.
Matthieu d' Edesse; PP. 45 — 6, Oman : Vol. I. PP. 288 — 291
Lamb; PP. 212 — 218, Michaud; T. I. PP. 123 — 6 , Grousset,
T. I. PP. 173 — 6, Stevenson: The 1 st Crusade (C. M. H. V) ; P. 296.

٦٠) الكامل في التاريخ ١٠ـ١١٨

٦١) منتخبات من المرآة ص ٥٢٠ ، انظر ايضا ابن القلانس ص ١٣٧

٦٢) ابن ظافر ـ ورقة ١٥٦ ب

٦٣) ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

٦٤) اراد ريموند الصنجيلى ان تكون عسقلان له ، وريموند هذا هو ثالث ثلاثة كانوا اكبر قادة الحملة الصليبية المعروفة بالاولى وهم : جودفرى دى بويون وبوهيمند النورمانى وريموند الصنجيلى وحتى وقعة عسقلان هذه ، كان بوهيمند قد افلح في ان يكون لنفسه امارة صليبية قاعدتها انطاكية ، وكان جودفرى قد تم اختياره رئيسا للصليبيين في بيت المقدس وبقى الصنجيلى دون املاك ، فتطلع الى تملك عسقلان ٠ ورفض جودفرى ان تكون عسقلان ملكا للصنجيلى فهى بحكم موقعها تابعة لمن يتملك في بيت المقدس ٠ وبفضل هذا التنافس بين زعماء الصليبيين نجت عسقلان من الوقوع في ايديهم هذه السنة سنة ١٠٩٩ ٠ انظر ابن القلانس ص ١٣٧ والمقريزى ٢ـ٣١٠ و Matthieu d — Edesse, P. 45

٦٥) ذكر Willian of Tyre; T. I / P, 378 ان قوات من اتراك دمشق قـــد اشتركت مع القوات الفاطمية بقيادة الافضل في وقعة عسقلان ، على حين ذكر Oman ; Vol. I, P. 288. Lamb; P. 212 ان الاتراك الذين اشتركوا مع الافضـــــل في هذه الوقعة كانوا من المرتزقة ·

٦٦) Heyd; T. I. P. 197, William of Tyre, T. I. PP, 419 — 421
Grousset; T. I. PP. 219 — 221, Runciman, vol. II. P. 73

٦٧) Crousset; T. I. P. 223 ويؤيد ابن القلانس ص ١٣٩ ذلك قائلا (في رجب سنة ٤٩٤ فتح الصليبيون قيسارية بالسيف وقتلوا اهلها ، واعانهم الجنويون) وانظر ايضا
William of Tyre; T. I. PP. 421 — 423
Runciman; vol II. P. 73. Michaudi; T. I. PP. 144 — 145.

٦٨) Stevenson: The Gusaders, P. 44

٦٩) Stevenson: The Gusaders, P. 45

٧٠) يقول سبط ابن الجوزى المراة ج ١٢ـ٣ ورقة ٢٣٧ ب (وثبت المسلمون وحملوا على الفرنـــج فهزمهم الى قيسارية ويافا) فيقال انهم قتلوا من الفرنج ٣٠٠ر٠٠٠ ولم يقتل من المسلمين سوى سمد الدولة وطبعا في تقدير الخسائر مبالغة واضحة ·

ويقول الذهبى : دول الاسلام ٢٠ـ ص ١٦ عن الوقعة نفسها (التقى المصريون والفرنج بظاهـــر عسقلان فقتل مقدم المصريين ، وحمل المصريون فحطموا الفرنج وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى قتـــل منهم ١٠٠ر٠٠٠) وهو بدوره مبالغ في تقدير الخسائر ·

٧١) ذكر William of Tyre; T. I, P. 430 ان القوات الفاطمية في هذه المحاولة اتصفت بالحيطة والحذر وحسن التدبير ، واستدرجوا العدو الى حيث امكنهم الحاق خسائر فادحة به ·

٧٢) انظر ص ١١ و ١٢ ، وانظر ايضا Grousset ; T. I. P. 230

٧٣) Lot ; Vol. I. PP. 133 — 4

٧٤) انظر ابن القلانسى ص ١٤١ ، سبط ابن الجوزى : منتخبات ص ٥٢٥ ،
Matthieu d' Edesse P. 61

٧٥) انظر ص ١٥

٧٦) ابن الاثير ١٠ـ١٥٢ ، العينى ج ١٥ ـ ٣ ص ٥٨٤

٧٧) ابن الاثير ١٠ـ ١٦٥ ·

٧٨) Runciman; vol. II, PP. 79 — 80

٧٩) Oman; vol. 1. PP; 225 — 6, William of Tyre; T. I. PP. 433 — 5

٨٠) انظر ابن الاثير ١٠ـ١٥٢ ، العيني ص ١٥ـ٣ ص ٥٦٠ Grousset ; T. I. P. 237

٨١) انظر Runciman; vol. II. P. 80, William of Tyre; T. I. P. 435.

٨٢) انظر ابن الاثير ١٠ ـ ١٤٤

٨٣) سبط ابن الجوزى : المراة ص ١٢ ـ ٣ ورقة ٢٤٧ ـ أ

٨٤) ذيل تاريخ دمشق صفحة ١٤٢ ، يذكر سبط ابن الجوزى : المراة ص ١٢ ـ ٣ ورقة ٣٤٧ ـ أ ان عساكر جاءت من الشام استجابة للمبادرة الفاطمية ، ونصه كما يأتي : وكتب شرف الدولة ولد الافضل ، الى دمشق وغيرها ، باستدعاء العساكر للجهاد ، فجاءت العساكر ونزلت على يافا ، وتفرقت في السواحل ·

٨٥) ابن القلانس ص ١٤٣

٨٦) في ربيع سنة ١١٠٤م وصل اسطول جنوى الى ساحل الشام يحمل اعدادا من الصليبيين ، وفيهم المقاتلون من الفرسان ، واشترك هذا الاسطول في مساعدة الصليبيين بانطاكية في بعض العمليات الحربية، ثم وصل الى المياه الفلسطينية · واتفق بلدوين الاول ملك بيت المقدس مع الاسطول الجنوى على التعاون في فتح عكا ، مقابل منح الجنويين ثلث المدينة المفتوحة وثلث دخل ميناء عكا من الجمارك ·

واعفى بلدوين الجنويين من أن يدفعوا ضرائب في جميع انحاء مملكته الناشئة ، فضلا عن اعطائهم ربما ـ او حيا ـ يقيمون فيه في كل من مدينة بيت المقدس وميناء يافا · واكد لهم حقهم ـ مستقبلا في التمتع بهذه الامتيازات في كل مدينة يفتحونها لحسابه · وكان الجنويون قد ساعدوا بلدوين ـ من قبل ـ في الاستيلاء على موانئ : ارسوف وقيسارية ، وحصلوا على امتيازات مماثلة · وهذا يفسر الالتحام بين مصالح مدن او جمهوريات ايطاليا التجارية وبين مصالح الصليبيين في المشرق الاسلامي وهو في الوقت نفسه يوضح بعدا جديدا من ابعاد الحركة الصليبية واخطارها · انظر
Heyd; T / I. PP. 136 — 8. William of Tyre;
T. I. PP. 439, 440.

٨٧) ابن القلانس ص ١٤٤ ، انظر ايضا ما اثر عن صمود حامية عكا الفاطمية واهلها من المسلمين في ابن الاثير ١٠ـ١٥٥ وسبط ابن الجوزى : المراة ص ١٢ـ٣ ورقة ٣٤٩ ب وابو المحاسن ٥ـ١٨٨ ·

٨٨) توفى دقاق بن تتش بن الب ارسلان السلجوقي ، امير دمشق في يونيو سنة ١١٠٤ ، وكان المتصرف في اموره اتابكه : طغتكين · وكان طغتكين ، هذا ، قد تزوج من ام دقاق بعد وفاة (تتش) وزواجه هذا يعتبر خطوة من الخطوات الهامة ، التى تؤهل امثاله من قادة السلاجقة ومقدميهم لتولى منصب الاتابكية · والاتابك يصبح عادة صاحب الامر والنهى في الاقطاع او الامارة او الولاية التى من نصيب الامير السلجوقى الذى ينتمى الى البيت السلجوقى · وفي اغلب الاحيان ،كان الامر ينتهى بأن يحول الاتابك السلطة فيما

تحت يده من اقطاع او امارة او ولاية ، الى سلطة وراثية في بيته هو · وعندما توفي دقاق لم يترك سوى طفل يدعى : اتاش فنصبه اتابك طغتكين اميرا · وتطلع اخ لدقاق المتوفى هو : بكتاش بن تتش الى منصب الامارة · وتصدى اتابك طغتكين لبكتاش ، فتحول هذا يطلب العون من الصليبيين في بيت المقدس ، وكان لهذا اثره في موقف اتابك طغتكين تجاه الفاطميين في مصر · انظر ابن القلانسي ص ١٣٨ ـ ٩ وابن الاثير ١٠ ـ ١٦٥ ·

٨٩) ابن الاثير ١٠ ـ ١٦٥ ·

٩٠) ابن القلانس ص ١٤٩ ·

٩١) الصليب الاعظم هو الذى يعرف عند المسيحيين بـ (صليب الصلبوت) وهو الصليب الذى يعتقدون ان السيد المسيح (عليه السلام) قد صلب عليه ، ويعتبر قمة مقدساتهم الدينية ، وكانوا اذا حملوه في معركة من المعارك يستميتون في القتال ويعتبرون من يقتل منهم شهيدا · انظر
William of Tyre ; T. 1. P. 455.

٩٢) William of Tyre; T. I. PP 456, Stevenson: Grusaders PP. 47 — 8 Runciman; vol. II. PP. 89, 90, Grousset, T. I PP. 243 — 5, Michaud, T. I. P. 149.

٩٣) يقول ابن الاثير ١٠ـ١٦٥ عن معركة الرملة ، هذه السنة ، بين المسلمين والصليبيين (فوقع المصاف بينهم ، بين عسقلان ويافا ، فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى ـ ويقول المظيمى ص ٣٧٧ (التقت عساكر مصر والفرنج وتابك طغتكين ، وقتل الخلق العظيم ، ولم تكن كسرة على احد الفريقين)· وانظر ايضا ابن القلانس ص ١٤٩ ، العيني ج١٥ـ٣ ص ٥٨٤ ، ولقد بلغت فرحة المؤرخ الاسلامي الذهبي : دول الاسلام ٢ـ١٨ بصمود القوات الاسلامية المتحالفة في هذه الموقعة ، ان قال (كان المصاف بين المسلمين والفرنج فانتصر المسلمون ، وكانت ملحمة مشهورة اذلت الفرنج ، وقتل منهم ١٢٫٠٠٠ شخص ·

٩٤) كان ارتق بن اكسك التركماني ·· والد سقمان ، واحدا من قادة السلاجقة ايام السلطان الاعظم ملك شاه ، وانتقل الى العمل في خدمة الفرع السلجوقي بالشام فاقطعه تتش ـ اخو السلطان ملك شاه ـ زعيم الفرع السلجوقى بالشام ، مدينة بيت المقدس التى انتزعها السلاجقة من الفاطميين انذاك · وحظى ارتق بمكانة سامية بين اتباعه من التركمان فقد كانوا يعظمونه ويكرمونه ، ولهم فيه اعتقاد ، وفي ٣٨٤ـ١٠٩١م توفى ارتق في مدينة بيت المقدس وخلفه ابناء سقمان وايلغازى ، واستمرا يحكمان مدينة بيت المقدس حتى استردها الفاطميون ٤٩١ـ١٠٩١م ومن ثم انتقل سقمان واخوه الى بلاد الجزيرة والعراق يحاولان التكوين لانفسهما · ووصل سقمان واخوه الى بلاد الجزيرة والعراق والصراع بين السلطان بركياروق وبين اخيه محمد ـ على منصب السلطنة ـ قد بلغ اشده · فانضما الى جانب محمد ، واجتهدا في اضرام نار العداوة بينه وبين اخيه السلطان بركياروق · انظر ابن الفرات ٢ـ٨ وانظر ايضاً ص (٣)

٩٥) توفى كربوغا صاحب الموصل وبلاد الجزيرة وديار بكر في ذى القعدة ٤٩٥ سبتمبر سنة ١١٠١ م ومن ثم دب النزاع بين نوابه في حكم تلك النواحى ، ويهمنا من نواب كربوغا في حكم النواحى التابعة له ، ان نذكر ثلاثة ، اولهم موسى التركمان الذى كان ينوب عن المتوفى في حصن كيفا ، وثانيهم سنقرجة

في الموصل وثالثهم جكرمش في جزيرة ابن عمر . وفي هذا الصراع بين نواب كربوغا المتوفى استمـــان موسى التركماني بسقمان املا في انتزاع الموصل ، وفعلا تم القضاء على سنقرجة واستولى موســـى بمساعدة سقمان على الموصل ، ومن ثم تحرك جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر لقتال موسى وسقمـــان التركمانيين ، وانتصر جكرمش ولقي موسى مصرعه اما سقمان فانفذت الى حصن كيفا واستولى عليها . انظر ابن الاثير ١٠ـ١٤٢ ـ ٠٣ وعن حصن كيفا يقول ياقوت ٣ـ٢٨٦ حصن كيفا ، ويقال : كيبا ،وأظنها ارمنية ، وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة ، بين آمد وجزيرة ابن عمر ، من ديار بكر . وهـــي كانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة لم ار في البلاد التي رايتها اعظم منها ، وهي طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران . وهي لصاحب آمد من ولد سقمان بن ارتق . وانظر ايضا القلقشندى ٤ـ٣١٧ .

وعن جزيرة ابن عمر يقول ياقوت ٣ـ١٠٢ (بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة ايام ، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات ، واحسب ان اول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وكانت لـــه امرة بالجزيرة وذكر قرابة سنة ٢٥٠هـ وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة ، الا من ناحية واحدة شبه الهلال . ثم عمل هناك خندق واجرى فيه الماء ونصبت عليه رحى . فاحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخنـــدق) وانظر ايضا القلقشندى ٤ ـ ٣٢٢ .

٩٦) ابن الاثير ١٠ ـ ١٥٥ .

٩٧) كان ينوب عن بوهيمند ـ سنوات اسره ـ في الوصاية على الصليبيين بانطاكية ورعاية مصالحهم قريب له يدعى : طنكريد ، ولم يقصر طنكريد سنوات وصايته في الدفاع عن امارة انطاكية الصليبية ، بل انه تمكن من استرداد بعض الحصون والنواحي التي كان رضوان ملك حلب قد استعادها يوم ان وقع بوهيمند في اسر ابن الدانشمند . انظر ص ٩

٩٨) انظر Grousset; T. I. PP. 402, 403 والوحيد من مصادر البحث العربية الذى ذكر صراحة ان الصليبيين تطلعوا من وراء مشروعهم هذا الى بغداد قلب العالم الاسلامي السني هو : اسامه بن منقذ الكناني الشيزرى (٤٨٨ـ ٥٨٤ = ١٠٩٥ ـ ١١٨٨م) في كتابه لباب الادب ـ مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٨٩١٨ ادب ـ ص ٨٤ .

٩٩) يقول ياقوت ٣ـ٢٤٢ (وحران : مدينة عظيمة مشهورة ، من جزيرة اقور ،وهي قصبةديار مضر،بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم)،وانظر ايضا القلقشندى ٤ـ٣١٩.

١٠٠) كان بلدوين دى بورج هذا تربطه صلة قرابة بسميه ، مؤسس امارة الرها ، ونعنى به بلدويـن دى بويون الذى غادر امارته بالرها سنة ١١٠٠ الى بيت المقدس غداة وفاة اخيه جودفرى حيث نصبـــه الصليبيون هناك ملكا باسم بلدوين الاول . انظر ص ٢٨ تعليق رقم ٤

١٠١) ابن الاثير ١٠ـ١٥٦ .

١٠٢) يذكر ابن الاثير ١٠ـ١٥٩ انه كان مع سقمان سبعة الاف فارس من التركمان ، ومع جكرمش ثلاثة الاف من الترك والعرب والاكراد ، وهذه اول مرة تصرح فيها مصادر البحث باشتراك الاكراد مـــع اخوانهم المسلمين في الجهاد ضد الكفار .

١٠٣) انظر ص ١٣ .

١٠٤) العظيمي ص ٣٧٥ ويصور ابن الاثير ١٠-١٥٦ قضاء القوات الاسلامية المتحالفة على قوات امارة الرها الصليبية التي استدرجها المسلمون يوم حران ، بينما كانت قوات انطاكية الصليبية تكمن وراء جبل على مقربة من ميدان القتال املا في مباغتة المسلمين قائلا (وكان بيموند صاحب انطاكية وطنكرى صاحب الساحل ، قد انفردا وراء جبل لياتيا المسلمين من وراء ظهورهم ، اذا اشتدت الحرب ، فلما خرجا رايا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فاقاما الى الليل ، وهربا ، فتبعهم المسلمون وقتلوا من اصحابهما كثيرا ، واسروا كذلك ، وافلتا في مئة فرسان) ٠

١٠٥) انظر ص ١٦ وتعليق رقم ٧١

١٠٦) ابن الاثير ١٠-١٥٦ وكان اتباع سقمان قد استولوا على معظم اسلاب العدو يوم حران كما اخذوا بلدوين دى بورج وقريبه جوسلين سيرين ، ومما اثار حفيظة اتباع جكرمش فانتزعوا بلدوين من خيام سقمان وكاد ان ينشب القتال بين الطرفين ولكن سقمان ترك بلدوين لجكرمش واخذ هو جوسلين وقسم الاسلاب والغنائم بين الطرفين ٠

١٠٧) غداة موقعة حران اسرع بوهيمند وقريبه طنكريد الى مدينة الرها فارتفعت الروح المعنوية بين سكانها وشرع الصليبيون في اعداد العدة للدفاع عنها فقد كانوا يتوقعون ان يحاصرها المسلمون ٠واضطر بوهيمند الى ترك مهمة الدفاع عن الصليبيين بالرها الى قريبه طنكريد ، اما هو فقد توجه الى انطاكية ليدرأ عنها الاخطار التي تهددتها نتيجة لارتفاع الروح المعنوية عند المسلمين في حلب بعد الانتصار الذى احرزه اخوانهم يوم حران ٠ وبعد ان غادر بوهيمند الرها تقدم جكرمش لحصارها اواخر يونيو واوئل يوليو واستبسل طنكريد واهلها في الدفاع عنها ، وتمكنوا من حمل جكرمش على رفع الحصار والعودة الى بلاده ٠ انظر

Runciman, Vol. II. P. 45.
Grousset, T. I. PP. 412 — 5.

١٠٨) اورد كمال الدين العديم : منتخبات ص ٥٩٢ ذكر تلك الحصون والاماكن بالتفصيل

١٠٩) كان من اسباب اتخاذ بوهيمند قرار مغادرة انطاكية خريف ١١٠٤ والتوجه الى اوربا لحشد المقاتلين الجدد ، ان انتصار المسلمين في موقعة حران ادى الى اعلان كثير من المسيحيين الشرقيين وخاصة الارمن ، في اعمال امارته ونواحيها ، الثورة على السيادة الصليبية وتعاونهم مع المسلمين ، واخطر من هذا ان الامبراطور البيزنطي يوحنا كومنين ارسل قوات برية انتزعت بعض القلاع والحصون التي كان الصليبيون في انطاكية قد استولوا عليها من املاك بيزنطة ٠ كذلك ارسل الامبراطور البيزنطي قوات بحرية لاسترداد بعض الاماكن التي كانت تابعة لبيزنطة على ساحل سوريا الشمالي - قبل مجيء الصليبيين - مثل ميناء اللاذقية ، كل ذلك حدث غداة انتصار المسلمين يوم حران ٠ انظر

Runciman, vol. II. P. 45, Grousset; T. I. PP. 412 — 5.

١١٠) ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٣ ، انظر ايضا سبط ابن الجوزى : المراة جـ١٢ - ٣ ورقة ٢٤٩ - ١ ويقدر ابن الجوزى ٩-١٣٧ خسائر الصليبيين في موقعة حران باثنى عشر الف قتيل ٠

١١١) سبط ابن الجوزى : المراة جـ١٢ ـ ٣ ورقة ٢٤٩ ـ ١

William of Tyre; T. I. PP. 443 — 7 , Matthieu d' Edesse PP. 71 — 4, Anonymous Syr. , PP. 78 — 80.
Michelle Syr. , T. III . P 195, Oman; Vol, I. PP. 300 — 3, Stevenson; PP. 76 — 8, Grousset; T. I. PP. 401 — 156.

١١٢) انظر التعليق رقم ٨٨

١١٣) ابن القلانس ص ١٤٦ ، ويقول ابن الاثير ١٠ـ١٦٢ ان طغتكين كتب الى سقمان (يخبره انه مريض قد اشفى على الموت ، وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها ان يملكها الفرنج)

١١٤) يقول ابن القلانس ص ١٤٦ عن التحالف الذى تم بين سقمان وجكرمش ما نصه (وقد كان الامير سقمان بن ارتق ، والامير جكرمش ، قد اتفقا على الجهاد في المشركين ونصرة المسلمين) وهذا النص يوحى بان تحالف هذين الاميرين لم يكن قاصرا على احباط مشروع الصليبيين في امارتى انطاكية والرها فحسب ، بل انهما ـ زيادة على ذلك ـ على استعداد لوضع امكانياتهما في خدمة القضية الاسلامية كلها ، ونصرة غيرهما من حكام المسلمين ـ مهما بعدت بلاد اولئك الحكام ـ على العدو المشترك ٠

١١٥) ابن الاثير ١٠ـ١٦٣ ٠

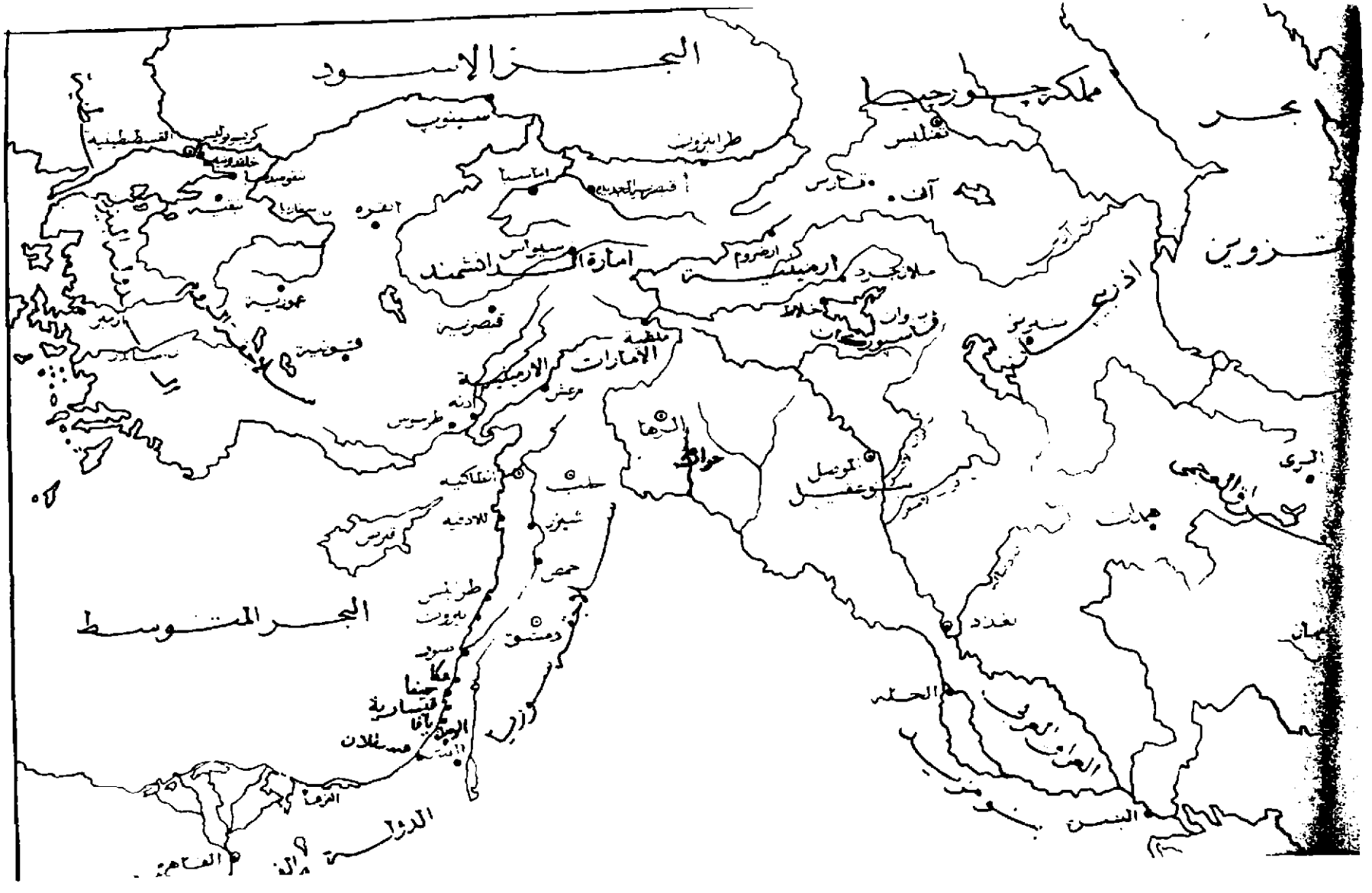
البحر الاسود
سينوب
طرابزون
القسطنطينية
كريسوبوليس
خلقدونية
نيقوميدية
انقرة
اماسيا
قيصرية الجديد
ملكية جورجيا
تفليس
قارس
آف
بحر
قزوين
امارة آل شداد شمند
سيواس
ارضروم
ارمينية
ملاذجرد
خلاط
قاليقلا
اذربيجان
سلماس
عونية
قيصرية
قونية
ملطية
الامارات الارمينية
عين زربة
ادنة
طرسوس
الرها
حران
الموصل
نصيبين
البرى
انطاكية
حلب
شيزر
اللاذقية
قبرص
جبل
حمص
طرابلس
بيروت
البحر المتوسط
دمشق
بغداد
صور
عكا
حيفا
قيسارية
يافا
القدس
عسقلان
الحلة
الدولة
الفاطمية
القاهرة
اليمن

The Muslims and the Precursors of their Awareness of the Crusaders' Danger.

The paper is in two parts : the first is a brief survey of Islamic conditions in the East when the Crusaders first arrived / A. H. 490 (A. D. 1097). Those conditions indicate that all Muslim rulers, without a single exception, were then entirely unaware of the nature o f the Crusaders' danger, motives and objectives. They were also not aware of the European powers behind the Crusaders serving their intersts. The Muslim rulers' unawareness of the danger was due to their being absorbed in disputes and conflicts. In less than two years, the Crusaders managed to be firmly established in more than one place: Edessa, Antioch and Jerusalem.

The second part o f the paper is a survey and analysis of certain events that took place immediately afterwards (between Muslim and Crusaders) in which the writer saw the precursors of the Muslims' awakending to the Crusaders' danger. Those events covered a vast area extending from Asia Minor, Diar Bakr and Mesopotamia, in the extreme north (all under the Seljuks) to Fatimid Egypt in the extreme south. This proves that the precursors of awareness were comprehensive, irrespective of territorial boudaries or ideological differences. The writer referred to about sixty original Arabic and foreign sources.

Dr: A. I. Ramadan.

المصادر العربيـــــة

١) ـ ابن الاثير : ـ الكامل في التاريخ · الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية ١٣٠١هـ ·

٢) ـ البلاذورى : ـ فتوح البلدان · مكتبة النهضة المصرية ·

٣) ـ البغدادى : ـ كتاب الافادة والاعتبار · نشره موسى سلامه

٤) ـ البندارى : ـ تاريخ دولة آل سلجوق · مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٩٠٠م ·

٥) ـ ابن الجوزى : ـ أ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ـ طبعة حيدر أباد ١٣٥٨هـ ·
ب ـ شذور العقود ـ مصور شمس بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٤ تاريخ ·

٦) ـ الحسينى : ـ أخبار الدولة السلجوقية طبعة لاهور ١٩٣٣م ·

٧) ـ ابن خلكان : ـ وفيات الاعيان · طبعة ١٣١٠هـ ·

٨) ـ الذهبى : ـ أ ـ تاريخ الاسلام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٦ (أ) ·
ب ـ دول الاسلام ـ جزءان طبعة حيدر أباد (ب) ·

٩) ـ ابن اياس : ـ بدائع الزهور ـ طبعة بولاق ١٣١١هـ ·

١٠) ـ سبط بن الجوزى : ـ أ ـ مرآة الزمان ـ مصور شمس بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ · ب ـ منتخبات من مرآة الزمان (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية)
Rec — Hist. Croisades. T. III

١١) ـ السيوطى : ـ تاريخ الخلفاء ـ طبعة مكة المكرمة ·

١٢) ـ أبو شجاع : ـ ذيل تجارب الامم ـ طبعة القاهرة ١٣٢٤ ·

١٣) ـ ابن الشحنة : ـ الدر المنتخب · طبعة بيروت ١٩٠٩ ·

١٤) ـ الشيرازى : ـ السيرة المؤيدية · طبعة مصر ١٩٤٩ ·

١٥) ـ ابن الصيرفى : ـ الاشارة الى من نال الوزارة · طبعة القاهرة ١٩٢٤ ·

١٦) ـ الاصطخرى : ـ المسالك والممالك · طبعة ١٣٨١ / ١٩٦١ ·

١٧) ـ ابن الطباخ : ـ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء · طبعة حلب ١٩٢٣ ·

١٨) ـ ابن ظافر : ـ أخبار الدول المنقطعة ، مصور شمس ـ دار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريـــــخ ·

١٩) ـ المظيمى : ـ تاريخ المظيمى · نشره Cahen, G. : J. A. 1938

٢٠) ـ العينى : ـ عقد الجمان ـ مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ·

٢١) ـ أبو الفداء : ـ المختصر في أخبار البشر · الطبعة الاولى ـ القاهرة ·

٢٢) ـ ابن الفرات : ـ تاريخ الدول والملوك · مصور شمس بدار الكتب المصريـــة ٣١٩٧ تاريـــــخ ·

٢٣) ـ ابن القلانس : ـ ذيل تاريخ دمشق · طبعة بيروت ١٩٠٨ ·

٢٤) ـ القلقشندى : ـ صبح الاعشى · طبعة دار الكتب المصرية ·

٢٥) ـ كمال الدين : ـ زبدة الحلب ـ طبعة بيروت ١٩٥١ ·
ـ منتخبات من تاريخ حلب (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية) ·
ـ بغية الطلب في تاريخ حلب (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية) ·

٢٦) ـ أبو المحاسن : ـ أ ـ النجوم الزاهرة ـ الطبعة / دار الكتب المصرية ·
ب ـ مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة ط كمبردج ١٩٧٢

٢٧) ـ المقريزى : ـ الخطط المقريزية · طبعة مصر ١٣٢٦هـ ·

٢٨) ـ ابن ميسر : ـ أخبار مصر · القاهرة ١٩١٩ ·

٢٩) ـ اليافعى : ـ مرآة الجنان · طبعة حيدر آباد ١٣٣٨ هـ

٣٠) ـ ياقوت : ـ معجم البلدان ·

المصـــــادر الاجنبيـــــة

1 — Anonymous Syriac Chronicle :
The First & Second Crusades. Translated by: Tretton, A. S. with notes by: H. R. R. in Royal Asiatic Society's jurnal — 1933.

2 — Bar Hebraeus, Gregory Abul Farag:
The Chronography. Part 1, political History (E—d. With English Trans. by E. A. W. Budge.) Oxford, 1923 .

3 — Barker , Ernest :
The Crusades. London , 1934 .

4 — Brehier , Louis :
(A) Le Monde Byzantin , Paris 1947 .
(B) L' Eglise et L' orient ou Moyen Age , Paris 1921 .

5 — Browne , Edward :
An account of a rare Manuscript History of the Seljuks, in, jaurnal of Rayal Asiatic society (J. R. A. S.) july 1902.

6 — Mrs. Bucler, Georgina :
A study of Anna Comnene, Oxford, 1929.

7 — Chalandon, Ferdinand :
(A) Essai Sur Le Regne —d'— Alxis 1er. Comnene. Paris, 1900,
(B) Historie de la primier croisade. Paris 1925.

8 — Defremery . M. C. :
(A) Recherches Sur La Regene du Seldjoukid Brkiarouk , j. A. 1853.
(B) Memoire sur Cette question : Jerusalem a—t— elle ete prise Par 1' armie du Caliph d' Egypte dans 1' annie 1096. J. A. 1872 .

9 — Grousset , Rene :
Historie des Croisades. T. 1 & 11 Paris — 1983.

10 — Heyd, W. :
Historie du Commerce du Levant au Moyen — Age (Trad. Par Farcy Raynaud) . Lipzig 1936.

11 — Lamb, Harold :
The Crusades: Iron men & Saints. London 1945.

12 — Laurent :
— L' Armenie entre Byzance et L' Islam depius la conquete Arabe jusque 886. Paris 1919.

13 — Macler , F . :
Armenia (The Cambridge Medieval History) Val — 1V.

14— Matthieu d' Edesse :
Chronique (Rec. Hist. Croisades) Documents Armeniens T. I.

15 — Michaude , J. F. :
Histoire des Croisades. Vol. 1, Paris 1877.

16 — Michel le Syrien, patriarche jacobite d' antioche 1166 — 1199.
Chronique. Editie et Traduite par Chabot. J. B. Paris 1910.

17 — Oman, C. W. C. :
A History of art of war in Middle Ages. Vol 1. London 1924.

18 — Reinaud , M.
De L' Art Militaire Chez les Arabes au Moyen Age J. A. 1848.

19 — (A) — A History of the Crusades. 2 vol. Cambridge 1951 & 1952.
(B) — The 1st. Crusade.

20 — Schlumberger , Gustave .
Recite de Byzance et des Croisades. Paris 1922.

21 — Stevenson, W. B.
The Crusaders in the East 1 vol. Cambridge 1907.

22 — Vasiliev , A. A.
Histoire de L'Empire Byzantine. (Traduit du Russe par P. Brodin .....)
Paris 1932 .

23 — Weit, Gaston .
Precis de L'Histoire d'Egypte. LeCaire 1932 .

24 — William of Tyre.
L'Estoire de Eracles Empereur et la Congueste de la Tered' Autermer.
(Rec. Hist. Croisades) Historiens Occidentux.

25 — Wittek , Paul
The Rise of the Ottoman Empire. 1 vol. London 1838.